صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الثانى عشر



٤٧

العـدد الثانى عشر
من
السنة الثامنة

٢٤ حارة جاد — شارع الفجالة — مصر

ديسمبر ١٩٣٩



روسيا تغير على فنلندا

فى الشهر الماضى اختلفت روسيا العالم السكى تغير على فنلندا ، فلما كان اول هذا الشهر (دسمبر) زحفت على هذه الأمة الصغيرة . وبهذه المناسبة نرى ان ننقل هذه الكلمة الموجزة عنها :

فنلندا دويلة صغيرة تقع بين روسيا واسوج فى اوربا الشمالية وتمتد على خليجى فنلندا وبوتنيا . وتبلغ مساحتها ٥٠٠ ر ١٣٢ ميل مربع وتشمل حوالى ٠٠٠ ر ٣٠ جزيرة منتثرة على الشواطىء وحوالى ٠٠٠ ر ١٦ ميل مربع من البحيرات ، ولذلك أطلق عليها اسم « أرض البحيرات الألف » . ونصف أراضيها مكسو بالغابات . وتملك الحكومة اكثر من مائة وعشرين مليونا من الاشجار التى يصنع الورق من لبابها . ومناخها لا بأس به فى الصيف ومناظرها الطبيعية خلابة رائعة تتخللها الخلجان والبحيرات والجزر والغابات التى تتجلى فيها ألوان الجمال السحرية فى ليالى الصيف التى لا تغيب فيها الشمس على مدى الاربع والعشرين ساعة . وتكثر فيها أنواع من الحيوانات مثل الايائل والغزلان والدببة والثعالب والقطط البرية والسمور ونحوها وكذا بعض الانواع النادرة من الاسماك.

وثلاثة أرباع مساحة فنلندا غير آهلة بالسكان ويبلغ عدد سكانها فى الجزء الآهل منها نحو

٠٠٠ر ٤٠٠ ر ٣ منهم ٠٠٠ ر ٧٥٠ ر ٢ من الفنلنديين و ٠٠٠ ر ٣٠٠ من الاسوجيين و ٠٠٠ر١٦ من قبائل اللابيين الذين يعيشون حياة فطرية فى المنطقة الشمالية . والفنلنديون من اصل شرقى آسيوى تبرز عظام وجناتهم أشبه بالمغول ، وهم قصار القامة يميلون الى الضخامة والترهل . وهم شعب كريم أمين مضياف يأخذ الاشياء أخذاً جديا ، ذو طباع خشنة لا يعرف الا القليل من المزاح والنكتة . وهم لا يفتأون يظهرون الاستقلال فى أخلاقهم والفخار فى الامتناع عن تعاطى المسكرات وهى ممنوعة عندهم منعا باتا بموجب قانون صدر فى سنة ١٩١٩ . وأقوى هوية فيهم حب التعلم . والمك لترى رجالا متقدمين فى السن يتقدمون لنيل الشهادات من الجامعات ، ولا يخجلون عن الدخول فى الامتحانات ، وهم متدثرون بأرديتهم الحملية البيضاء حتى ولو كانت أرجلهم على حافة القبر !

وقد هاجر الفنلنديون من آسيا قبل العصر المسيحى وطاردهم الصقالبة الى الاقاليم النائية فى الشمال . فتطبعوا بالطباع الغربية بحيث لم يعد أى أثر فيهم للنزعة الشرقية ، وان تكن لغتهم تمت بصلة الى اللغات المنغارية والتركية والاستونية ، وقد اختفت لغتهم القومية دهرا من الزمن الا من أوساط الفلاحين والخدم ، تحت الطبقات الراقية اللغة الاسوجية ، ولكنها عادت الان الى الحياة بالحافز الوطنى القوى .

ويبدأ تاريخهم فى ١١٥٧ حينما غزاهم الاسوجيون وأخضعوهم لسلطانهم اخضاعا تاما ، وغدت فنلندا جزءا من اسوج . ولكنها ظلت بسبب موقعها الجغرافى كرة يتقاذفها الروسيون والاسوجيون فى حروب مدى أجيال كثيرة أصابها فيها شىء كثير من نكبات الجوع والاوبئة . الى أن حلت سنة ١٨٠٩ فاتحدت مع روسيا على أن يحتفظ لها بدستورها . واعقب هذا الاتحاد فترة تسعين سنة ذاقت فيها طعم الراحة والاستقرار وعملت على تقدمها ورقيها فى ميدان الحياة . على انه فى سنة ١٩٠٥ اصابها رذاذ من الاضطراب الهائل الذى حاق بروسيا على أثر هزيمتها أمام اليابان . وحدث بها اضطراب عظيم فى شهر أكتوبر من تلك السنة أوقف حياتها المدنية نحو اسبوع . وتولى الحكم فيها الحزب الاشتراكى الديمقراطى ،

ولما نشبت الحرب الكبرى الماضية لم تشترك فيها فنلندا إلا بقسط ضئيل ، ولم تقدم لروسيا إلا ٣٠٠٠ متطوع ومثلها لألمانيا ، وانصرفت بكليتها الى استغلال فرصة الحرب والاثراء من ورائها .

وكان من أثر هذه السياسة القصيرة النظر ان قلت فيها المواد الغذائية . وبعد الثورة الروسية الاولى اعلن « كويفسكى » الدستور الفنلندى وتأسست الجمهورية الاولى بها ، ولكن توالت الاضطرابات على أثر ذلك بسبب وجود بعض الجنود الروس فى فنلندا ، فاستولى الجنود الحمر اى البلاشفة على عاصمتها ، وثارت فيها حرب اهلية هائلة ارتكبت فيها كثير من الفظائع المريعة فكان يدفن الاسرى فى الجليد حتى اعناقهم . على انه لم يلبث الحال طويلا حتى طرد الالمان الجنود الحمر البلاشفة من فنلندا واتجهت النية الى جعل فنلندا مملكة تحت امير المانى ، ولكن الهدنة قضت على هذه المسائل وقتئذ وتوطدت الجمهورية فى فنلندا منذ سنة ١٩١٨

والملاحة فى مناطقها صعبة جدا . واذ تقترب السفن من شواطئها تلمح من بعيد الاقامن النصب التى تصنعها زوارق الحكومة بعد ذوبان الثلج لارشاد الملاحة ، ثم تزيلها فى شهر نوفمبر من كل عام . ولاكثر من سبعة أشهر فى السنة تتسلط طافيات الجليد العائمة على أمواج فنلندا فتهدد الملاحة وتضطر الحكومة الى وضع النصب والعلامات لارشاد الملاحين الى المواقع الخطرة

وعاصمة فنلندا هى مدينة « هلسنكى » التى يكثر ذكرها فى الانباء البرقية فى هذه الايام . وهى مدينة نظيفة ، طرقاتها عريضة منتظمة يحيطها البحر من كل جانب . ويرى فيها الناظر الحوذ الروسيين بأرديتهم الطويلة وهم جالسون على عربات صغيرة تشبه عربات الاطفال . وفى خلال الصيف يعيش أهلها فى الخلاء ، ولكنهم لا يبرحون الا قليلا . ومن المظاهر الغريبة فيها ان النساء يقمن بكافة الاعمال حتى بناء المنازل وكنس الشوارع . ولكنهن لا يفعلن ذلك مستعبدات ، بل يتمتعن بحقوق مساوية للرجال تماما فى كل مرافق الحياة ، وينتخبن فى مجلس النواب أسوة بالرجال .

وفنلندا تدين بالمذهب البروتستانتى وقد عقد قبل سنوات فى مدينة « هلسنكى » عاصمتها المؤتمر الدولى لجمعية الشبان المسيحية الذى حضره أربعة من المندوبين المصريين .

واغلب سكان البلاد يعيشون فى منازل خشبية ويشتغلون فى الزراعة والخشب وصيد الاسماك . وتكاد تكون البحيرات اهم وسائل الانتقال بين اجزائها المختلفة ، ومركبات الجليد الزاحفة على الارض هى وسائل الانتقال الوحيدة فى فصل الشتاء .

علتنا الوحيدة هى الفقر

بقلم صاحب السعادة على الشمسى باشا

اننا اذا أخذنا برأى الاخصائيين وقدرنا أربعة وعشرين جنيها فى العام حدا ادنى للايراد الذى تتطلبه اسرة ريفية مكونة من خمسة افراد لكيلا تعيش دون الكفاف لوجدان السواد الاعظم لا تصل موارده الى هذا المستوى من انحطاطه

فطبقة عمال الزراعة يتناول الواحد منهم اجرا يوميا يتراوح بين قرشين وثلاثة قروش وهو اجر ضئيل لا يفى حتى بالغذاء الكافى فضلا عن بقية مطالب الحياة هذا اذا اشتغل كل ايام السنة. وقد كشفت القرعة العسكرية عن حقيقة الضعف الجسمى الذى تعانيه هذه الطبقة ومثيلاتها من جراء نقص التغذية

فاذا ارتقينا الى طبقة صغار الملاك وجدنا أنهم ليسوا أحسن حالا فان عدد الذين يملكون اقل من فدان واحد يبلغ نحو مليون وسبعمائة وعشرة الاف مالك لا يزيد مجموع ما يملكون على ٧١٥ الف فدان اى ان متوسط ما يملكه الواحد منهم نحو عشرة قراريط فقط مع ان اغلبهم رب اسرة يعولها

واما طبقة صغار المستاجرين فانهم ليسوا فى حالة يحسدون عليها نظرا لارتفاع قيمة الايجارات الزراعية ارتفاعا لا تبرره الاعتبارات الاقتصادية. قد يقال ان قانون العرض والطلب هو الذى يحدد قيمة الايجارات الا ان حرية التعاقد مفقودة بسبب تضخم السكان فى الريف. نعم ان هذه الطبقات لا تعيش الواحدة منها منفصلة عن الاخرى وانه كثيرا ما يكون العامل الزراعى مستاجرا لفدان او اثنين او ثلاثة الا ان هذه الظاهرة ليست عامة فضلا عن ان مثل هذا العامل مضطر للتخلى عن

العمل والاجر كما في اوقات خدمة الارض التي يحتاجونها .

وأما العمال غير الزراعيين فان اجورهم لا تزيد كثيرا على اجور عمال الزراعة اذا استثنينا الاقلية الضئيلة التي تعمل في المنشآت الفنية . اما الاكثرية كعمال النقل والحرف الصغيرة وغير ذلك فان الواحد منهم يتناول اجرا يبلغ حوالي خمسة قروش في اليوم .

تلك حالة الطبقات التي تؤلف الاغلبية العظمى من الشعب المصري . فنحن اذن في فقر شامل للسواد الاعظم من مواطنينا يتمثل في انحطاط مستوى معيشتهم وما الم بهم من الحرمان . وقد نتج عن هذه الحال انتشار الامراض الطفيلية وغيرها في الريف انتشارا يهدد الجنس المصري كما في قوته المعنوية والجثمانية في حاضره ومستقبله فان نسبة المصابين بالرمد ٩٠ في المائة وتفشت البلاجرا تفشيا مخيفا بسبب نقص التغذية . وما دام الفقر هو اصل البلاء فلن تجدي اقوى جهود وزارة الصحة سوى مجرد تخفيف شدة هذه الحال .

ولا يسع الباحث في اسباب انحطاط مستوى المعيشة ان يغفل النظر في ظاهرة لها اثرها وهي سوء توزيع الثروة الزراعية كما يبدو جليا من مراجعة احصاء ملاك الاراضي المزروعة . فقد بلغت مساحة هذه الارض في سنة ١٩٣٢ ر ٥٫٨٣٤٫٠٠٠ فدان وبلغ عدد مالكيها ٠٠٠ ر ٤٤٠ ر ٢ منهم ٠٠٠ ر ٢٨٢ ر ٢ مالك لا يزيد ما يملكونه على ٠٠٠ ر ٨٧٩ ر ١ فدان . في حين ان ١٢٤٥٠ مالكا يملكون ٢٢٢٥٠٠٠ فدان اي ان ٩٤ في المائة من الملاك لا يزيد ما يملكونه على ٣٢ في المائة من المساحة الكلية بينما ان كبار الملاك ونسبتهم العددية لا تزيد على نصف في المائة يملكون ٣٨ في المائة من مجموع المساحة

غير ان هذه الظاهرة على سوئها ليست بالعلة الاصلية وفي اعتقادي ان الحكومة تستطيع العمل على جعل هذا التوزيع اكثر عدالة من الوجهة الاجتماعية وذلك بتشجيع الملكيات الصغيرة حتى لا تلجأ يوما الى نزع ملكية الاملاك الكبيرة لتقسيمها بين صغار الملاك كما حدث في رومانيا بعد الحرب السابقة وفي المجر منذ شهرين عندما اقتربت الجيوش السوفيتية من حدودها . وما تعمله الآن ايطاليا في جزيرة سيسيليا علاجا لحالة اجتماعية تشبه حالتنا من بعض الوجوه

ومهما يكن من الامر فان العامل الاساسي في بقاء معيشة سواد الشعب على مستواها الوضيع

الحاضر هو فى رايى كثرة السكان على اطلاقها أو نسبتها الى الـكيلو متر المربع من الارض فان هذا مما قد يهتم له وزير الدفاع ولـكنه لا يفيد فى موضوعى . وانما اقصد كثرة السكان بالنسبة الى موارد الثروة الاهلية والقدرة العاملة على الانتاج .

أن حركة الـسكان زيادة او نقصا يختلف اثرها باختلاف النظم الاقتصادية فاذا تـكاثر عددهم فى بلد بلغ درجة عالية من الرقى وتوافرت لديه رؤوس الاموال وقامت الزراعة والصناعة فيه على النظم الحديثة ، كان نماء السكان غالبا من بواعث ازدياد الرخاء لانه يزيد من قوة الاستهلاك وذلك بخلاف البلدان التى لم تبلغ شوطا بعيدا فى التنظيم الاقتصادى فان الانتاج القومى فيها لا يسـاير نمو السكان . وهذا هو الواقع فى مصر . فقد كان عدد الـسكان فى سنة ١٨٩٧ ، ٠٠٠ ر ٦٣٥ ر ٩ وفى ١٩١٧ ، ٠٠٠ ر ٩٠٠ ر ١١ وفى سنة ١٩١٨ ، ٠٠٠ ر ٧٥١ ر ١٢ وفى سنة ١٩٢٧ ، ٠٠٠ ر ١٧٨ ر ١٤ اى ان الزيادة بلغت ٤٧ فى المائة فى ثلاثين سنة فى حين أن مساحة الاراضى المنزرعة لم تزد الا ٨ فى المائة فقط . نعم ان الايراد الزراعى زاد بسبب تقدم نظام الرى الحديث وتحسين الزراعة ولـكنها زيادة لا تتجاوز ٢٧ فى المائة فهذا الفرق بين زيادة السكان وزيادة الموارد هو الذى يضغط مستوى المعيشة . وقد دل احصاء سنة ١٩٣٧ على أن عدد الـسكان بلغ ٠٠٠ ر ٩٠٥ ر ١٥ فالزيادة اذن مطردة وهى وأن قلت نسبتها عما مضى لا تزال عظيمة فانها بلغت ٠٠٠ ر ١٧٣ نسمة فى العام الواحد ، ومصر معدودة بحق من أكثر بلاد العالم ازدحاما بالسكان فماذا يـكون الحال اذن بعد ثلاثين سنة عندما يتجاوز عدد سـكانها ٢٠ مليونا اذا لم تقابله زيادة فى الانتاج . لا شـك أن الملايين الذين يعيشون اليوم عيشة دون الـكفاف ستهبط حينئذ معيشتهم إلى دون مـستواها الحاضر فتزداد الحال حرجا .

ولئن كانت الصناعة وسائر موارد الثروة الاخرى التى تعتمد عليها الامم الراقية قد تقدمت فى مصر تقدما محسوسا فى السنين الاخيرة الا أنها لم تصل بعد إلى درجة النماء التى تجعلها عاملا كبير الشان فى الرخاء العام ، ولا تزال الزراعة هى العامل الاساسى فى كيان الثروة المصرية سـواء من جهة عدد المشتغلين بها او من جهة نصيبها فى الانتاج العام

المشكلة إذن خطيرة ولئن كانت الجماهير قد استسلمت الى الان لهذه الحالة التعيسة فان انتشار

التعليم واتصال حياة الريف بالمدن سيحملانها حتما على المطالبة بنصيب اوفر من الحياة

ان المليون تلميذ الذين يتعلمون الآن في المدارس الالزامية لن يقنعوا بنصيب ابائهم وليس من الحكمة ان ننتظر الى أن يطالبوا بالمزيد لان مثل هذه النزعات تبدأ معتدلة ولكنها لاتلبث تحت تأثير عوامل شتى ان تأخذ شكلا حادا كما حصل في بعض البلدان الاجنبية

ليس لحالتنا هذه الا علاج من ثلاثة :

اولا — ضبط النسل وهو علاج لايتفق مع شرائعنا وعاداتنا

ثانيا — الهجرة وهى علاج اذا سلمنا به جدلا فان الامم لاتلجأ اليه الا عند الضرورة القصوى ويتعذر الاخذ به على كل حال متى كان الامر يتعلق بهجرة ملايين من المواطنين

اما العلاج الثالث فهو العمل بلا ابطاء على زيادة الانتاج الزراعى والصناعى وهو الحل السليم مادام فى الامكان تحقيقه

انى اقدر تماما صعوبة التنفيذ فى بلد تنقصه رؤوس الاموال الاهلية فان تنفيذ الاعمال الهندسية الكبرى فى اعالى النيل عند منطقة البحيرات لاعداد اكثر من مليون ونصف من الافدنة للزراعة فى مصر يكلفنا حسب تقدير الاخصائيين نحو خمسين مليونا من الجنيهات ، ثم انه يتعذر من الجهة الاخرى تحويل بلد زراعى الى الصناعة فى زمن قصير لان تطورا كهذا يحتاج فضلا عن رؤوس الاموال إلى خبرة فنية وتقاليد صناعية غير أن هذه الصعوبات ليست خاصة بنا فهى التى تعترض سبيل التقدم الاقتصادى فى كل بلد ناشىء ولكن تذليلها مستطاع كما حصل فى أمريكا الجنوبية وماهو حاصل الآن فى تركيا. وامامنا الامثلة عديدة وهى أن اختلفت فى بعض تفاصيلها متشابهة فى موضوعها. ولئن أعوزتنا رؤوس الاموال الاهلية فلن يضيرنا أن نقترض من الخارج رؤوس الاموال التى نفتقر اليها انماء لثروتنا الزراعية واحياء لصناعتنا المصرية وبذلك تنشىء رؤوس أموال اهلية تنمو على مر الزمان . نعم لن يضيرنا هذا وانما العيب أن نظل جامدين والعالم يسير الامام .

وتستطيع الحكومة أن تقوم بقسط أوفر فى ارشاد الجهود الفردية وحسن توجيهها وذلك بالتوسع فى دراسة الصناعات التى تتوافر لها اسباب النجاح فى بلادنا من جهة المواد الأولية والايدى العاملة وطرق الصناعة ووسائل النقل والتوزيع وما الى ذلك . ويرتبط بالنماء الصناعى ارتباطا وثيقا

استغلال القوى المحركة والثروة المعدنية وهى ناحية من اقتصادنا الأهلى لم نوجه اليها فيما اعتقد ما تستحق من العناية ومن انفاق المال على المباحث العلمية للانتفاع بثمراتها فى التقدم الصناعى

انى ادرك حقا أن تنفيذ ما ذكرت من وجوه الاصلاح سيكون بطبيعته طويل المدى فلا يتحقق الا مرحلة بعد اخرى . غير أن ذلك لدعى الى الشروع فيه بلا ابطاء . والى أن يتم تحقيقه واجتناء ثمراته هنالك تدابير عاجلة الاثر من شأنها أن تلطف فى خلال ذلك ما يحدثه نمو السكان السريع من الحط من مستوى المعيشة . وأول ما يخطر على البال منها فى ميدان الزراعة هو تشجيع الملكيات الصغيرة كما اسلفت .

ان صغار الملاك هم فى الواقع العمود الفقرى للامة لانهم من الوجهة الاقتصادية كثيرو العدد كبيرو الانتاج يتوافر الواحد منهم هو واسرته على خدمة ارضه التى يعيشون منها ويتولى زراعته وهو من الوجهة الاجتماعية عنصر اعتدال ونظام واستقرار لقلة ميل هؤلاء الملاك الى النزعات المتطرفة . فالاكثار من الملكيات الصغيرة اذن يعد سياسة رشيدة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

لذلك أرى : أولا — أن لا تباع أراضى الحكومة المزروعة إلا الى صغار المزارعين بعد تقسيمها الى ملكيات صغيرة وأن يكون البيع بشروط هينة والا تحتفظ الحكومة من تلك الارض الا بالقدر اللازم للتجارب الزراعية

ثانيا — إن تتخذ التدابير الكفيلة بتخفيف عبء الضريبة العقارية عن كاهل الملكيات الصغيرة تحقيقا للعدالة الاجتماعية فان ضريبة جنيه واحد اثقل وقعا على المالك الذى يبلغ إيراده عشرة جنيهات من ضريبة مائة جنيه على مالك يبلغ ايراده الف جنيه .

ثالثا — ان تنظم العلاقة بين المالك والمستأجر الصغير لان تضخم السكان من شأنه ان يؤثر على قانون العرض والطلب ويسلب من المستأجر الصغير حرية التعاقد

رابعا — أن يعود بنك التسليف الزراعى الى الغرض الذى تأسس من اجله وهو ان يقصر معاملاته على صغار الملاك .

خامسا — قصر الوقف على الاغراض الخيرية دون سواها لما يترتب على ذلك من تسهيل

تداول الثروة من جهة ونماء الانتاج الزراعى من الجهة الاخرى

وكما يجب مساعدة صغار الزراع كذلك يتعين تعضيد اصحاب الحرف والصناعات الصغيرة لما بين الطبقتين من التشابه من الوجهة الاجتماعية

ثم أن التقدم الصناعى بمنشآته الضخمة قد يطغى على كثير من الحرف الصغيرة ولكن ذلك مما يدعو الى العناية بحمايتها وشد أزرها وتنظيم بيع منتجاتها وتسهيل وسائل التسليف الصناعى ورفع مستوى التعليم الفنى

وقد عملت بعض البلدان القريبة منا كالجزائر وتونس ومراكش على حماية الحرف الصغيرة بانظمة يحسن تدبرها واقتباس الصالح منها

وانما الذى توخيت ان أنبه اليه هو اننا — خلافا لما يتبادر الى الذهن — لا نعانى عللا متفرقة يمكن ان تعالج كل واحدة منها على حدة وانما الامر يتعلق بعلة واحدة اساسية هى انخفاض مستوى معيشة سواد سكان الريف انخفاضا يجرح العاطفة الانسانية ويشين القومية المصرية لأن الشعب المصرى غير مقصور على مائة او مائتى الف من ذوى الميسرة النسبية وانما هو يتألف من ستة عشر مليونا ،

فكل علاج لاية ناحية من نواحى الضعف الاجتماعى او الصحى أو الخلقى الذى نشكو منه لا يجدى أن لم تعالج العلة الاصلية . ولذلك يجب أن نذكر دائما أن السبب الرئيسى لتلك العلة هو اختلال التوازن بين نماء السكان ونماء الثروة . فعلاجها لا يكون الا بتنمية مواردنا الزراعية والصناعية والمدنية لكى تظفر ملايين الشعب الآخذة فى الزيادة المطردة بقدر كاف من خيرات الحياة يزيد من مقدرتها الشرائية ويرفع معيشتها الى المستوى الخليق بالشعوب المتمدنة ويوطد بين ظهرانيها الاستقرار الاجتماعى

التربية الانجليزية

وما تم فيها من اصلاح حديث

من بارع الكلام الذي يدل على نظر الانجليز لمعنى التربية قول جرايت الين «يجب ألا تتدخل المدارس في تربية أطفالنا» وهو يعني أن التعليم المدرسي لا يمكنه أن يؤدي للصبيان مهمة التربية لان ميدان التربية أكبر من ميدان التعليم اذ هي تشمل الاخلاق وتحتاج الى بيئة المنزل والاجتماع الحسن وذلك مما يتجاوز جدران المدرسة التي تقتصر في العادة على التعليم . والحق أن من اغلاطنا الكبير أن يعزو الانسان فضل أمة ما في الثقافة والاخلاق والنظام والاخلاص للوطن والعدل وسائر صفات الاجتماع الحسن الى المدرسة لان المدرسة هي جزء من هذا الاجتماع نفسه وأثرها لهذا السبب جزئي . ثم هي تتأثر بهذا الاجتماع وتتأخر بتأخره .. ولكن على الرغم من كلمة جرايت الين لاتزال المدرسة الانجليزية في مقدمة المدارس في العالم في العناية بالتربية فوق التعليم . ومدارسها «العامة» هي قبل كل شيء مدارس تربية أذ يعنى القائمون بأمرها بتعويد تلاميذها الاستقلال والتعاون . ولذلك يمنح التلميذ كثيرا من الميزات التي تشعره بانه مستقل وأن له رأيا محترما وهو يعود الاعمال التي تنمي شخصيته في الباس والكلام والقاء الخطب والمناقشة .وهذه المدارس «العامة» هي عامة فقط بالاسم لان الحقيقة أنها خاصة عالية الاجور ، لايدخلها غير ابناء الاغنياء ولكن مقامها على الذروة من الحياة المدرسية يجعل لها مكان القيادة والارشاد والقدوة . فان جميع المدارس الاخرى تحاول الاقتداء بها . واهتمامها بالحياة المدرسية اكبر من عنايتها بالمواد الدراسية وذلك اتباعا للعقيدة الانجليزية بان الاخلاق خير من الذكاء اى الاستقامة والنزاهة يجب ان تفضلا البراعة واللباقة

ويرجع انشاء المدارس العامة إلى بداية النهضة الاوربية اى منذ اربعمائة سنة تقريبا فانها انشئت

باسم « مدارس الاجرومية » لتعليم المتوسطين والاغنياء . ثم تطور بعضها الى المدرسة العامة الحديثة. والغريب ان عناية الانجليز بالاخلاق وقلة اكتراثهم للدراسات كان ولا يزال ميزتهم وعيبهم . واقبالهم على الالوان المختلفة للرياضة يرجع الى هذا السبب ايضا . وهذه الظاهرة تبدو عند ما يقرأ الانسان تاريخ مدارسهم العامة . فانهم يعزون اصلاحها ليس الى ادخال مواد دراسة جديدة بل الى ان رجلا هو توماس ارنولد تولى نظارة احدى هذه المدارس — مدرسة ايتون — بين سنة ١٨٢٨ و ١٨٤٢ — وعمم فيها نظاما اصبحت فيه الحياة المدرسية وسيلة إلى التربية التى تسهل بالنظام الداخلى . وهذا النظام عام فى هذه المدارس

ومعظم التعليم فى بريطانيا كان ولا يزال قائما على مجهود الافراد وتبرعات الاغنياء . فالمدارس والجامعات مثل المستشفيات هى مجهود فردى وليس حكوميا . وحسب القارىء ان يعرف ان تعميم المجانية فى المدارس الابتدائية لم ينص عليه بقانون إلا فى سنة ١٨٩١ والتعليم الاجبارى لم ينص عليه بقانون إلا فى سنة ١٨٧٠ . حين أخذت الحكومة على عاتقها انشاء المدارس . أما قبل ذلك فكانت المدارس فى أيدى الجمعيات الخيرية ينفق عليها الافراد من ابناء الامة . وان كانت الحكومة البريطانية قد بدأت تؤدى اعانات لهذه المدارس من منذ سنة ١٨٣٣

ومما يلفت النظر ان انشاء المدارس الفنية والعناية بدراسة العلوم قد تأخر كلاهما لسبب عجيب . وهو ان بريطانيا لتقدمها فى الصناعات ووفرة ما فيها من مصانع قد اهملت هذه المدارس لاعتقادها ان التعلم الفنى الحقيقى يجب أن يكون فى المصنع الى جنب الآلات والعدد . ولهذا كثرت هذه المدارس فى أوربا قبل ان تكثر فى بريطانيا التى لم تشرع فى الاهتمام بها الاحين اتضحت قيمة المعارف النظرية فى التجارب العملية . وحين أخذ الالمان يبهرون العالم بمكتشفاتهم الكيماوية

• • •

ومنذ الحرب الكبرى تطور التعليم فى المدارس الانجليزية . ويحسن بنا ان نذكر هنا أنواع هذه المدارس ثم نبين بعض الميزات العامة لها

١ — مدارس الحضانة وهى اختيارية يدخل فيها الأطفال من سن الثانية الى سن الخامسة . وبعد ذلك يعاملون بقانون التعليم الالزامى . والغاية من مدارس الحضانة العناية بصحة الاطفال

وراحتهم قبل كل شيء وإيجاد مأوى لهم إذا كان الاباء لا يجدون فى وقتهم ما يتسع للعناية بهم

٢ — تلى ذلك المدارس الابتدائية . فان التعليم فيها الزامى مجانى من سن الخامسة الى الحادية عشرة . وفى كثير من هذه المدارس يعطى الغذاء واللبن بالمجان

٣ — التعليم الالزامى يستمر الى سن الخامسة عشر ولكن فى غير المدرسة الابتدائية التى تنقطع مرحلتها فى الحادية عشر ؛ ويمكن التلميذ ان يبقى بالمدرسة الى اكثر من هذه السن .

وبعد المدرسة الابتدائية يدخل التلميذ وعمره ١١ سنة اما فى « الفصول المتقدمة » وأما فى « المدارس الحديثه » واما فى « المدارس الثانوية »

والفصول المتقدمه ملحقة بالمدارس الابتدائية وهى تعلم اولئك التلاميذ الذين يعجزون لاسباب جغرافية او لغيرها عن الالتحاق بالمدارس الاخرى . اما المدارس الحديثة فتعلم الى سن الخامس عشر وتلتفت بخاصة الى التعليم اليدوى . وعلى وجه عام يمكن ان يقال ان تعليمها على اكثر ما هو نظرى . والغاية منها تزويد الصبيان الذين يليقون للعمل اليدوى اكثر مما يليقون للدرس النظرى . وفى كل من « الفصول المتقدمة » و « المدارس الحديثة » تتجه العناية الى الملاءمة بين البيئة والمدرسة . فتعليم الفنون الزراعية مثلا يكثر فى الريف . وفى المدينة ينظر الى العمل الذى سيحترفه الشاب عند تخرجه فتتجه العناية الى تعليمه إياه وتدريبه عليه .

٤ — وهناك « المدرسة الثانوية » وهى فى روحها مثل المدارس الثانوية عندنا ولكن المواد التى يطلب من التلميذ دراستها والامتحان فيها لا تبلغ سوى نصف المواد عندنا مع زيادة فى الاتقان والتوسع فيها . وقد بلغ عدد الذين التحقوا بها سنة ١٩٣٧ من مجموع تلاميذ المدارس الابتدائية ٨ ر ١٦ فى المئة وهم يبقون الى ان يبلغوا السادسة عشر حين يحصلون على شهادة تعادل الامتحان النهائى وأحيانا يبقون الى سن الثامنة عشر حين يمتحنون للدخول فى الجامعة أما بمصروفات وإما بالمجان . والمجانية هنا كثيرة وهى مكافأة التفوق

٥ — وهناك « المدارس العامة » التى أشرنا اليها وهى كما قلنا قديمة يقوم بالانفاق عليها الاغنياء ولها أوقاف كثيرة والتعليم فيها داخلى فى الاغلب ومواد التعليم فيها هى مواد الدراسة الثانوية . ولكن — كما قلنا أيضا — مع الالتفات الكبير الى الحياة المدرسية والعناية بتنمية الشخصية .

والتعليم الالزامى والثانوى هو الآن بالمجان فى بريطانيا تقوم بنفقاته الحكومة والهيئات المحلية (المجالس البلدية الخ) أما فى هذه المدارس العامة فان نفقات التعليم عالية بل عالية جداً. والحكومة لا تساعد هذا التعليم الا أقل المساعدة. وهذه المدارس بالطبع تؤدى الى الجامعات

« • »

والمدارس الابتدائية والثانوية لا تجرى على برنامج تعينه الحكومة. فان لكل منها سلطة واسعة فى تعيين هذا البرنامج. والامتحانات العامة تتسع لمختلف الدراسات والمثليات التى رسمتها « المدارس العامة » يعمل بها أو يقتدى بها كلما أمكن ذلك فى المدارس الابتدائية والثانوية. فحياة التلميذ فى المدرسة تلقى العناية بمثل ما تلقى دروسه أو باكثر

ويتجه الرأى هذه الايام الى ايجاد مدارس عالية للفنون تأخذ مكان المدرسة الثانوية والمدرسة الحديثة او تقف الى جانبها. وقد اصدرت وزارة التعليم تقريراً هذا العام أخرجته لجنة عنيت بدرس هذا الموضوع وهو يدل على غلبة الروح الفنى الذى تطلبه الصناعات على الروح الثقافى وغلبة العلوم على الآداب. واللجنة تقترح تعميم العلوم والرياضيات الى سن السادسة عشر حين ينتقل التلميذ الى الكليات الفنية حيث يدرس فنا خاصا يؤهله للعمل فى احدى الصناعات الآلية. ولم يعمل الى الآن بهذه المقترحات

واذا شئنا أن نلخص التعليم الانجليزى فى كلمة قلنا انه يعنى بالتلميذ كيف يعيش وليس ماذا يعرف



معجزة حياتي

لست بحاجة لان أبتعد بعيدا في سبيل البحث عن معجزة فانا نفسي معجزة رائعة . أنا معجزة في مولدي الطبيعي وفي وجودي على هذه الارض . أن أولد : هذا معجزة ، وأن أعيش في هـــذا الجسد الهزيل النحيل أكافح شياطين من الداء كثيرة : هذا ايضا معجزة

أما أروع المعجزات جميعها فهي حقيقة نفسي . فأن اكون غالباً منصوراً في التجارب والبلايا ، وان اكون موضع عناية الله ورعايته في عالم مصدع الجوانب مهدم الاركان ، وأن أفوز باليقين المخطو الامين في عالم الاتقياء والمؤمنين ، هذا كله عندي معجزة . وفي أحيان تهز أعاصير الشهوة الجامحة نفسي من أعماقها ، ولكن ثمة قوة اقوى مني ألف مرة تأخذ بيدي وترفرف على بجناحيها . وحينما افكر في حالة نفسي هذه ، تبدو ، حتى لي ، معجزة رائعة

تاملات كاجاوا

الالم فن

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الالم ، في نظر الذين يعرفون الله ، فن من أرقى الفنـون . فالله قد غرس بذور الدموع في الارض ليخصب بها مادة حياتنا . وليس عسيرا على عشاق المآسي والروايات المفجعة ، الذين ينفقون بعض المال لحضور المشاهد المبكية : أن يفهموا بان ثمة معنى في أن الله يسمح لنا بمشاهـدة مآس كثيرة رائعة على الأرض ، دون أن ينقد منا ثمناً .

قيل أن اللبوة تلقي شبلها الصغير ، بعد ولادته بثلاثة أيام من فوق الجرف . والذين يولدون من الله يجب أن يكونوا أقوياء مثل الله . ألا يحق بنا ان نشبه الألم والوعة والحرمان والاضطهاد بجواهر ثمينة مختلفة يزدان بها تاج حياتنا ؟

اقول لنفسي : لتسقط الجبال والآكام ! لتزأر العواصف والاعصار ! لتتشقق الصخور وتميد الارض بالزلازل ! لا أخاف شيئاً ، فالألم عندي فن ، بل هو أرقى الفنون

تاملات كاجاوا

العودة الى الريف

من محاضرة للدكتور محمد عبد المنعم رياض بك

لفت نظرى مرة انى قرأت ان التتار اذا أرادوا اظهار سخطهم على انسان والدعاء عليه لايقولون له « اذهب الى جهنم » أو « روح فى داهية » بل يدعون ان يبقى فى مكان واحد الى الابد ، ولعلهم فى ذلك على صواب ، فليس أشق على النفس ولا أشد اجهادا للاعصاب من أن يطول مكث الانسان فى بقعة واحدة لا يبرحها . أسوق هذا المثل لا دلل على أن سكان المدن الذين جعلوا منها اقامة دائمة يحرمون انفسهم لذة كبيرة ، هى لذة التنقل ، وهذه اللذة لا تؤتى أثرها المنعش للنفس الا اذا كان الانتقال كاملا ، بمعنى ان يخرج الانسان من وسطه العادى الى وسط آخر يختلف عنه كل الاختلاف ، فلا يعد انتقال استبدال مدينة بأخرى ، بل الانتقال الحقيقى هو الخروج من المدينة الى القرية — العودة الى الريف . أقول العودة — لان الريف هو الارض . هو الاصل الذى نبتنا فيه ، هو الطبيعة ، أمنا الرؤوم

على أن فى العودة الى الريف أثرا أعمق وأبعد مدى من لذة التنقل وترفيه النفس ، فيها جملة نتائج طيبة ، منها ما هو روحى ومنها ما هو مادى ومنها ما هو اجتماعى

فمن الآثار الروحية للاقامة فى الريف انها تبعث الراحة ، راحة التراخى والسكون — أليس فى خروج الانسان من المدينة الصاخبة حيث يؤدى اشغاله اليومية المرهقة ما يبعده عن الضوضاء وضغط العمل ؟ وهذا الابتعاد ضرورى من آن لآخر ، فكما أن العمل جميل فان الاستمرار فيه قد يجعل من الانسان منبتا لا يقطع أرضا ولا يبقى ظهرا ويفقده هبة طبيعية هى هبة التمتع بالكسل . فقديما قالوا ان الكسل أحلى مذاقا من العسل . على أن الكسل لا تظهر لذته ويتذوق الانسان طعم عسله الا

اذا تخلله فترات من العمل — عندئذ تتجلى فائدته ، فيكون بمثابة الخزانة تخزن فيها القوى التي تمدنا بالنشاط فنستطيع مقاومة العناصر التي نغالبها في الحياة ، فكلما دب فينا الضعف أمدتنا تلك الخزانة بقوة تمكننا من مداومة الصراع — قد يقال ان في الالعاب وفي الملاهي والرياضة ما يساعد على خزن هذه القوى . ولكن هذا غير صحيح ، فا اللاعب أو اللاهي أو المريض الا قائم بعمل . عمله لذيذ وجميل حقا ولكنه ليس ذلك التراخي الذي يريح الجسم ويغذي الروح ، وهو ما تحصل عليه اذا ذهبتا الى الريف وسكنا الى الطبيعة . عندئذ تصبح جزءا من الطبيعة ذاتها — هيذا التراخي هو غريزة طبيعية كالطعام والنوم

انظر الى الحيوانات ، ألا تجدها تربض احيانا لا توجه انظارها الى شيء معين ؟ فكثيرا ما نرى قططنا وكلابنا في هذا الوضع التراخي المريح ، وهو وضع يحتاج اليه الانسان ايضا ولا سبيل اليه الا في احضان الطبيعة . هناك في هذا السكون تقوى حواسنا فنجد للنباتات بل الحشيش البسيط عبيرا ونرى لاشعة الشمس جمالا لم نعهده ، نسبح في ملكوت من الخيال لا يعرف سره الا من تعلم حب الطبيعة ولجأ اليها في ميدانها الحقيقي وهو الريف

هناك أثر روحي آخر تبعثه الاقامة في الريف ، هو شعور الرضاء والطمأنينة . فالعمل المستمر يجعل الانسان قلقا مضطربا دائم الانفعال ، فاذا ذهب الى المزارع والحقول وراء الفضاء الواسع الذي يرمز الى الابدية ، شعر بالضآلة واقتنع بأن كل شيء تافه أمام عظمة الطبيعة وسكونها

وأهم من كل ذلك بعده عن تلك الاشياء غير الملموسة التي يتصل بها طول يومه ، كالاوراق والمحابر والحسابات والدفاتر والارباح والخسائر — نعم كل هذه الاشياء تقع تحت الحس ولكنها تعتبر في الواقع غير ملموسة — اما في الريف فانه يجد مقومات الحياة الحقيقية الملموسة . هناك يحيا حياة صحيحة تمكنه من العودة الى دولاب العمل المضني

قد يقال بأن كل ذلك خيال في خيال وليس كل الناس من أهل الخيال . وكثيرون لا يصل الاقناع الى نفوسهم الا اذا استند الى وقائع ثابتة وارقام ناطقة — هناك من الوقائع الثابتة المادية ما يدل دلالة واضحة على ان في العودة الى الريف كسبا كبيرا ومغنما ماليا موفورا — انظر الى المالك الذي يقيم بعيدا عن أرضه لا يعرف مكانها ولا أهلها ولا زرعها ولا ضرعها — أتراه يحسن

استغلالها حقيقة ؟ أتعتقد ان الوكيل أو الناظر أو المستأجر يعنى بالارض كما يعنى بها صاحبها؟فالمالك بإشرافه الشخصي يجعل رجاله يتحمسون فى القيام بواجباتهم ، وبعينه النافذة يختار أفضل البذور وأحسن السماد ، وبرقابته الشخصية يخدم الارض خدمة صحيحة فتؤتى أطيب الثمرات — من ذا الذى يستطيع وهو غائب عن ارضه ان يتبين ما اذا كانت الارض قد حرثت وشقت وأصلحت على أكمل وجه . وأن الرى والصرف والبذر والجنى قد تم كله بما يحقق للارض أكبر الفائدة ؟ واين عينه الساهرة لتمنع الاهمال والغش ، بل لتمنع سرقة المحصول وامتداد أيد غير أمينة اليه ؟ صدقونى أن فى وجود المالك فى أرضه أو عودته اليها بين آن وآخر أفضل الطرق لتوظيف ماله وتنمية ثروته. وليقارن كل منكم فى محيطه بين أرض لا يذهب اليها اربابها وارض أخرى لا ينقطع ملاكها عن زيارتها ليجد الفرق الشاسع فى الانتاج بينهما . ما مررت بأرض قد ذبل زرعها الا تحققت أن صاحبها فى الحضر يتخيل انه ينعم هناك ولا نعيم ، بينما تشقى أرضه شقاء اليتيم المحروم من الرعاية والحنان

الارض طيبة وحنون بطبيعتها ولذلك شبهت بالمرأة الطيبة العطوف . فاذا قابلتها بحنان ردت عليك حنانك أضعافا مضاعفة ، واذا رعيتها وعنيت بها اينعت وازدهرت وأخذت زخرفها وأنبتت من كل زوج بهيج

فكل مالك لارض يجرم فى حق ارضه وفى حق نفسه بل فى حق وطنه أيضا اذا غاب عن أرضه تلك الغيبة المنقطعة التى تجعله غريبا عنها وعن أهلها . فأول واجب على كل مالك أن يزور ارضه ويتعود الاقامة فيها — هذا واجب بسيط لا يكلفه شيئا بل يدر عليه كل شيء . فليبدأ كل مالك لا يعرف أرضه بالذهاب اليها ولو فترة وجيزة كفترة العيد ومواسم الزراعة ، وهو لا يكاد يستقر هناك حتى يرى ما لهذه الزيارة من سحر ، فيشعر بالطمأنينة او يرى تلك الارض الثابتة كالطود ، ويجد نفسه بين قوم صفت نفوسهم ، يرحبون به ويجعلونه يشعر بأنه فى عيد حقا . بل أكثر من ذلك ليبدأ كل شخص يستطيع شراء قطعة أرض بأن يشترى أرضا مهما قلت مساحتها ويبدأ بخلق منزل ريفى يلجأ اليه ، ففى ذلك أحسن استغلال لماله ولنشاطه . أعتقد انه لو وضع كل منا نصب عينيه أن يقتنى أرضا يتولى أمرها بنفسه لتحسنت احوالنا الاقتصادية ولهيأنا لانفسنا ولمواطنينا حياة رغدة سعيدة

لقد جرب الامريكيون أخيرا هذه الطريقة طريقة اقتناء الاراضى الزراعية ، فبدأ أغنياؤهم وخصوصا رجال الصناعة منهم بشراء الاراضى والاشتغال بالزراعة بجانب أعمالهم الاخرى ويدل الاحصاء على أن قيمة الاراضى التى اشتروها من سنة ١٩٣٢ حتى هذا العام بلغت ٥٠٠ مليون دولار وأصبح يطلق على هؤلاء الملاك لقب المزارعين ذوى الياقات البيضاء لتمييزهم من المزارعين العاديين، اذ يذهبون الى الريف بملابسهم الانيقة ذات القمصان والياقات . ويدل الاحصاء فى امريكا ايضا على أن هؤلاء الملاك المتأنقين ، وكلهم من رجال المال والصناعة ، كانوا حاسبين بعيدى النظر فقد درت عليهم هذه الاراضى أرباحا تتراوح بين ٥ ر ٥٠ فى المائة بعد أن نال مستأجروهم نصيبا فى الارباح ، بل أكثر من ذلك أن فى المدن كشيكاغو يوجد ناد يسمى « نادى رجال الاعمال المزارعين» وفى شيكاغو هذه بلغ عدد الملاك المزارعين من رجال الاعمال سنة ١٩٣٩ نحو ألفين . ويقوم مثل هذا النادى ببحث وسائل تحسين الزراعة وبتبادل المعلومات الزراعية النافعة . وقد أنشىء مثله فى عدة مدن امريكية مثل كنساس وواشنطن وسان لويس وبتسبرج وغيرها . وقد ساعد اشتغال هؤلاء الماليين بالزراعة على تحسين وسائلها لانهم يلجأون دائما فى زراعاتهم الى الطرق العلمية والفنية الصحيحة وبذلك يزيد انتاج اراضيهم ، وبزيادة الانتاج ترتفع أجور الاجراء الزراعيين ، فيعم الرخاء . وقد قال أحد هؤلاء الملاك انه يدفع لاجرائه عشرة فى المائة زيادة على الاجور العادية لانه يربح من أرضه ولا يجد ما يبرر حرمان اجرائه من الافادة من المكاسب التى يرجع الفضل فيها اليهم . ويجد هؤلاء الملاك فى اراضيهم فوق ما ينالونه من مكاسب شعورا بالرخاء يشحذ هممهم فى أعمالهم الاصلية ، فكأن الارض تثمر ثمرا مزدوجا ، الاول مباشر من الارض ذاتها والثانى غير مباشر من الاعمال الاخرى التى يقوم بها صاحب الارض بعد أن يعود منها أهنأ بالا وأقوى نشاطا

على أن هناك فائدة أخرى من العودة الى الريف لا يمكن تقويمها ، وهى فائدة تعود على المجتمع كله . فكل مالك يقيم فى أرضه ولو بعض الوقت يؤدى لمن حوله أجل خدمة اجتماعية . يستطيع أن يكون رسول هدى ورحمة للفلاحين — تصوروا صاحب الارض بين مزارعيه ينظرون اليه نظرتهم الى الرائد المرشد . ألا يستطيع أن يدلهم على أفضل الوسائل لتحسين صحتهم وتنظيف مساكنهم ويرشد المرضى منهم الى وسائل العلاج الصحيح ويبعث بهم الى المستشفيات — يستطيع بقليل من

المال أن يحفر بئرا للماء النقى وأن يقيم بعض مراحيض بسيطة — يستطيع ان يتغلغل فى مختلف ادوار حياة أهل القرية . فمن له ولد يراعى أن لا يهمل تعليمه وان يكون تعليمه متلائما مع بيئته ومن كانت له بنت يراعى ان تشب فتاة رشيدة تؤدى رسالتها فى دار أبيها حتى اذا تزوجت كانت زوجة صالحة معينة لزوجها . وقد يصل به الامر أن يتدخل بين أهل العشيرة أو أفراد الاسرة بل بين الزوج وزوجته فى القرية ويصلح ذات البين اذا فسد الامر ويبعد شر النزاع والخصام ، وحبذا لو كان لهذا المالك زوجة وأولاد وبنات — تصوروا الزوجة وقد نزلت كل يوم تمر فى دور القرية تزور اهلها وتعطى بعض ارشادات هنا وهناك فى الطبخ وفى تضميد الجرح والتمريض والحياكة والتطريز . بل يكفى أن تسأل أم فلانة عن اولادها وأبا فلان عن زوجته وعياله ، فاذا بها تصبح بعد قليل ملاك رحمة فى القرية ، ثم الاولاد والبنات ، وخصوصا الشباب منهم ، يستطيعون أن يأتوا العجب العجاب فى اصلاح القرية الاجتماعى واسعاد اهلها — كل هؤلاء يكونون دعاة اجتماعيين ، بل مصلحين وقادة وأى سرور يشعر به كل واحد منهم وهو يجد حوله عددا من الصبية و الاهالى يسترشدون بهديه ويراهم يتقدمون كل يوم خطوة حتى تقوم أخلاقهم وتحسن صحتهم وتسعد حياتهم تبعا لارشاده . أى سعادة تفوق تلك السعادة التى نشعر بها إذا اصلحنا هذه الاوكار المظلمة التى يعيش فيها الفلاحون بجانب النور من منافذ بسيطة تفتح دون أن تتكلف شيئا وتسود فيها النظافة التى يمكن الوصول اليها بأيسر النفقات ، اذ يمكن بسهولة تخصيص مكان للبهائم بفاصل بسيط ونقل الروث والحطب من أسطح الدور الى مكان فسيح بعد هذا الغرض فى القرية ، حيث يضع كل شخص فيه حاجته من هذه الاشياء ويرشد كل فرد الى وسائل النظافة الشخصية التى لا تكلف شيئا وانما تحتاج الى بعض الارشاد حتى يعتادها الناس — أليس فى كل ذلك سعادة كبرى تجعل الانسان يشعر أن هناك ما يبرر وجوده فى هذا العالم ؟ فاذا أضيفت الى ذلك الفوائد الروحية و المادية التى أشرنا اليها — ألا تكون العودة الى الريف أفضل وأسهل وسائل الانقاذ الاجتماعى والاقتصادى ؟

لقد سبقتنا الهند فى هذا السبيل : ففى بعض الولايات كولاية بارودا بدأت حركة لاصلاح القرى الهندية وحالتها لا تمتاز عن حالة القرى المصرية ، فكان أول طريق لذلك حث الناس على الذهاب الى الريف والاقامة فى القرى . وبدأ الملاك بعد هذه الاقامة يحفرون آبار الماء النقى ويقيمون المساكن

الصحية لهم ولمزارعيهم ويعنون بالزراعة والرى واختيار البذور والاسمدة ويتولون تربية المواشى والدواجن . وقد أنتجت هذه الحركة أحسن النتائج فى الهند فلماذا لا نقوم بها فى بلادنا ؟ — انى أهيب بالمصريات والمصريين الذين يمتلكون أراضى أن يولوا وجوههم شطرها ويقيموا فيها،كما أهيب بكل من يستطيع اقتناء أرض أن يقتنيها

اذهبوا جميعا الى الريف واعملوا على اعداد مكان للاقامة فيه ولو كان بسيطا : اجعلوا من ذلك سياسة عامة وربوا أولادكم على حب الارض وحب الريف ، فاذا كان لبلد أن يفخر بأرضه فمصر الزراعية هى أولى هذه البلاد — ويكفى ان تصلوا من الاقامة فى الريف الى انقاذ أهله وسكانه — هؤلاء الفلاحين الذين تقوم على مناكبهم ثروتكم بل حياتكم وحياة بلادكم



فأحبوهم فهم اخوانكم

مسهم ضر و [illegible] خير

اقرضوا الله يضاعف أجركم

ان خير الاجر أجر مدخر



الكونت دى جالارزا

الفيلسوف الاسبانى الذى علم الحكمة بمصر ربع قرن

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

رأيته لأول مرة صباح يوم من عام ١٩٢٢ فى فناء مدرسة المعلمين العليا التى تشغلها الان كلية التجارة بحى المنيرة بالقاهرة .. يسير معتدل القامة متين الخطى وسيم الوجه ، حاملا مظلة سوداء لابسا «ردنجوتا» اسود وقفازا اسود وحذاء اسود لامعا ، و«بياقة» عريضا أسود بحجب ياقة عالية بيضاء تغطى رقبته كلها ويصل طرفاها الى ذقنه .. وقد وضع على رأسه طربوشا قصيرا يبدو من تحته شعر أشقر يضرب الى الحمرة قيل انه شعر مستعار.

فكان بهذا المظهر الشاذ الجميل يذكر بأحد رجال الاستقراطية باوربا فى القرن الماضى ممن نرى صورهم فى الكتب . وقد استرعى منظره انتباهى لأول وهلة فسألت عنه الواقفين معى من زملائى الطلبة فقالوا « هذا هو الكونت دى جالارزا الفيلسوف الاسبانى المستشرق » فذكرت ولو لم أره من قبل أنه ذلك الحكيم الفاضل الذى كان الى عهد قريب استاذا للفلسفة فى الجامعة المصرية (القديمة) وتبعته بنظرى فرأيته يقفل المظلة بتؤدة ثم يصعد السلم المؤدى إلى الطابق العلوى على مهل ، ويسير بخطى رشيقة فى الردهة الطويلة حتى يصل إلى آخر غرفها فيدخل فيها ويختفى .. فقالوا : إنه فى هذه الحجرة يخلو بنفسه كل يوم بضع ساعات ليؤلف بعض الكتب الفلسفية التى عهدت اليه وزارة المعارف بتأليفها ..

ورأيته مرارا بعد ذلك يدخل إلى تلك الغرفة الهادئة النائية وهناك ينكب وحده على القراءة والتأليف ويقضى الساعات مع افلاطون وكانت وغيرهما من الحكماء فى سكوت وتأمل بعيدا عن

ضوضاء العالم .. ولم يكن فى مدرسه المعلمين يومذاك زحام ولا جلبة تقلقان راحته إذ كنا نحو ثمانين طالبا موزعين على ثمانيــة فصول مختلفــة تتلقى العلوم على نفر من الاساتذة الانجليز فى هدوء شامل وحب متبادل . وكنت فى ذلك المعهد يافعا فى الثامنة عشرة شغوفا بالشعر والخيال ، أقضى أيامى فى القراءة والكتابة والموسيقى ، سابحا فى عوالم ملونة من الأحلام والأوهام . وكنت أقضى شطراً من النهار المدرسى فى المكتبة وكان بها بضعة آلاف مجلد من خير الكتب الانجليزية وأشهرها فكنت أنتقى وأتصفح وأستعير منها ماشئت . وأتنقل من خزانة إلى اخرى كما تتنقل النحلة فوق ازهار حديقة يانعة غناء .. وكان أمين المكتبة الشاعر احمد رامى يقبع وراء مكتبه فى ناحية من تلك القاعة الفسيحة الهادئة المطلة على حديقة المدرسة يدخن ويقرأ ويسطر من حين إلى حين بيتا من الشعر . فاذا ما مللت القراءة والتطواف بقماطر الكتب جلست إلى الشاعر لنتم حديثا عن الكتب ومؤلفيها .

وفى نوفمبر ١٩٢٢ أرسلوا الشاعر فى بعثه الى باريس وعهدوا بأمانة المكتبة الى الكونت دى جالارزا فرأيت الشاعر والفيلسوف معتكفين عدة ايام فى المكتبة يحصران أسماء الكتب وأرقامها والكونت يتسلمها واحدا بعد آخر فانقطع ترددى على المكتبة حتى يعود إليها الهدوء . حتى اذا كان يوم ١٣ ديسمبر ١٩٢٢ وكان من الأيام ذات الأثر فى مجرى حياتى لقانى عثمان فراش المكتبة وأخبرنى أن جناب الكونت يرغب فى رؤيتى ! فعجبت لذلك لأنه لم يرنى قط من قبل وأسرعت الى المكتبة فوجدتها خالية من الطلبة يسودها صمت وسكينة كأنها هيكل مهيب تسرح فيه أرواح اولئك العباقرة الذين احتفظت هذه القماطر الزجاجية المنسقة بعصارة قلوبهم وعقولهم . وفى ركن من هذا المكان رأيت كاهن الهيكل جالسا على مقعد منخفض وراء مكتب كبير مرتديا ملابسه السوداء الدائمة ، غائصا فى تأملاته الصوفيه العميقة . وعلى مسافة قريبة جلس الخادم عثمان لايفكر فى شىء . وقدمت نفسى إلى الكونت فهب واقفا وتناول ثلاثة كتب صغيرة كنت قد ترجمتها وطبعتها وتركتها فى المكتبة فعثر بها وسأل عنها الخادم فحدثه هذا عنى وعن شغفى بالكتب والكتابة .. وبادرنى الكونت بأسلوبه العربى الفصيح الذى طالما أدهش به سامعيه قائلا : « تصفحت كتبك هذه واستنتجت من مقدمتها أنك تشير إلى ضلال المجتمع وهذا ادراك قلما يصل إليه الناس ، وهذه نزعة حسنة إلى الأدب .. » فتدخل عثمان وكان لطول معاشرته للكتب وفرط حملها وترتيبها أن

أصيب بدوره بهوس الأدب ! فأخبر الكونت أنني ألفت كتابا سميته « الفردوس » فابتسم الفيلسوف وأبدى اهتماما بالأمر ثم قال : « الفردوس ! أحب أن أرى الفردوس ! .. » ثم أخذ يحدثني عن قلة المشتغلين بالعلويات والروحانيات لأن الاكثرية لاتبالي بغير الأمور المادية التافهة، ويحثني على الاهتمام بدراسة الحكمة ..

وبعد أيام قلائل توجهت الى الكونت ومعي ذلك الكتيب، «وهي السابعة عشرة»، الذي حاولت فيه باسلوب الشعر المنثور وبحماسة سن المراهقة وبسذاجة الحداثة أن أصور « طوبى » على جزيرة نائية أتفرد فيها بنفسي وبحبي بعيداً عن شرور الناس وتقاليدهم ! .. وقدمت إلى الاستاذ كتيبي وسألته أن يبدي فيه رأيه فأجاب «سأتلذذ بقراءة كتاب الفردوس» ثم طفق يحدثني ثانية عن ضرورة التعلق بالأمور العلوية والمسائل الفلسفية والبحث وراء الحكمة لأنها التدبير الصحيح للخير الأعظم . ثم تشعب بنا الحديث وكان هذا أول مجلس فلسفي مع هذا الحكيم تكرر فيا بعد إلى مايقرب من ألف حديث في الوف المسائل والمعضلات والمذاهب الفلسفية والروحانية وكثيرا ماطرقنا أمورا علمية واجتماعية وأدبية ..



الكونت دي جالارزا

وبعد ثلاثة أيام جاءني غلمان ومعه كتاب ورسالة أما الكتاب فهو أحد مؤلفات الكونت « محاضرات الفلسفة العامة وتاريخها » وهو الجزء الثاني الذي ألقاه على طلبة الجامعة المصرية « القديمة » في السنة الدراسية ١٩١٩ — ١٩٢٠ . وقد كتب عليه عبارة الاهداء . « إلى محب الحب والنور .. » وأما الرسالة فكانت داخل ظرف مختوم مكتوبة بخط عربي جميل وهي بنصها :

« عزيزى — أشكر لك حسن ظنك بى حيث أهلتنى لانتقاد كتابك الجميل الفردوس ولكنى وجدت انه لايقدر على ذاك الانتقاد أحد سواك لأن مؤلفك مظهر لضميرك ونقد مافى الضمير لا يكون إلا بمزيد التجارب الوجدانية والتعلم والذى استنتجته من قراءتى هو أن الفيلسوف الحق لايمكن أن يخلو من الاهتمام القلبى عندما يرى شابا فى سن اقتناء النور يفهم شر الناس إلى درجة أن يتألم منه ويطلب لنفسه طريقا غير الذى يسير فيه الجمهور ويتوجه برقة شعوره نحو المحبة الصحيحة ويستريح بأن يتخيل علو الآلهه ويقدر الجمال قدرا عظيما . فهذه الهيئات الروحية كلها دواعى ليحب فى شخصك الاله الذى صورك وليهنى الحبيب المذكور فى أول كتابك وفى آخره .

« الداعى لك بكل خير — جالارزا »

وقد أخذت أدرس الجزئين الأول والثانى من « محاضرات الفلسفة العامة وتاريخها » وكان الجزء الثانى هذا يتضمن خلاصة فلسفات باسكال ومالبرانش وكانت وابن سينا ونقد مذاهبهم وراقت لى مقدمته التى يخاطب فيها تلاميذه ومما جاء بها :

« لنحب كل مفكر فى العالم مهتديا أو ضالا . فالضال يحب الشفوق المتألم معه ، والمهتدى يحب المسرور بسرور أخيه ، ولا نستنكف من البحث فى أى مذهب من المذاهب . فان صدر الحكمة رحب ورحمتهــا عظيمة مثل فكرها الجامع لأنواع الأضواء التى دبرتها هى ، وهى المدبرة لجميع الموجودات كما أنهــا المدبرة لحياة محبها الفيلسوف ، بل هى نفس التدبير الصحيح للغاية الصحيحة المستند إلى علم المبادىء .. »

وقوله :

« راعينا فى نمط تعليم الحكمة قاعدة مبدئية مهمة شاركنا فى اتباعها بعض الفلاسفة المجتهدين الصادقين مثل « كانت » وهى أن تدعو المتعلم إلى التفكر الاستقلالى حتى يصير فيلسوفا لا ذاكرا كلام الفلاسفة فقط فان هذا عمل ان يغلب فيه الانسان المجلدات الضخمة والآلات الحاكيات »

وقوله :

« أرى أنه يحسن بطالب الحكمة أن يكتسب لنفسه المعانى الفلسفيــة حتى يكون دماغه ظرفا لأفكاره لا لألفاظ تلبس أفكار الغير . »

« وعلى طالب الحكمة أن يستمر فى هذا الجهاد الروحانى الاعظم إلى أن يصير ذا روح شخصى ويدرك فى أشد الجسم بلوغ الروح ، فيتحرر من جميع قيود المتاهة فأن نصيب من لم ينل شيئاً من الحكمة هو المتاهة كما أن نصيب من لم ينل العلم هو الجهل وكلاهما بلاء عظيم يحمل البشر يتخبطون فى جميع شئونهم »

أما تعليقات الكونت الخاصة فى هوامش هذين الكتابين الجامعين لبعض محاضراته فى الفلسفة العامة وعلم الاخلاق فتدل على استقلال فى الرأى وعلى عقل منطق واسع واطلاع كبير — وكان للكونت قبل هذين كتاب فى فلسفة اليونان سمعت به ولم أره ..

ولازمت الكونت نحو ثلاث سنوات فى فترات كثيرة غير منتظمة من شتاء عام ١٩٢٢ إلى صيف ١٩٢٥ حين خرجت بعده إلى ميدان العمل ودخلت فى تجارب قاسية جديدة كانت تلهينى عن الاشتغال بما أحب . ولكنى كنت أتردد عليه فى بعض الاحايين فى مكتبة المدرسة كالعادة حتى عام ١٩٢٨ ثم ندرت رؤيتى له حتى عام ١٩٢٩ حينما نقلونى الى اسيوط .. وكانت أحاديثى مع هذا الفيلسوف أشبه بدروس أخرج منها مستفيدا مستنيرا ، وكان لها أثر جلى فى نفسى إذ زادتنى تعلقا بالفلسفة وعلم النفس وبالامور العقلية عامة . وكان حديثنا باللغة العربية الفصحى وبالعامية أحيانا ونادرا بالانجليزية والفرنسية .. وكان الكونت يتقن اللغة العربية الفصحى كأنه عالم من الازهر كما كان يتحدث بالعامية ويلم الماما تاما باللغات الاسبانية والالمانية والفرنسية والانجليزية والايطالية ثم اليونانية واللاتينية ويقرأ المؤلفات الفلسفية بهذه اللغات الثمانية ... وقد طرقنا مالايحصى من الموضوعات وتناقشنا فى الوف المسائل والبحوث والمعضلات ، وكنت أشبهه بدائرة معارف تلبى كل سائل وتفيد كل باحث .. تحدثنا عن الكون منذ أن كان سديما إلى ارتقاء انسان اليوم ، وبحثنا فى الروح وخلودها ، والنفس ومظاهرها ، والحكمة وفوائدها ، والاديان ونشمها ، والفلاسفة ومذاهبهم ، والاغريق وعصورهم ، والمجتمع وضلاله والعالم واضطرابه .. وتكلمنا عن الجمال والفن والكتب والحياة والموت .. وقص على يوم تاريخ حياته وكيف عشق الحكمة وضحى بالمناصب وهجر وطنه وأهله من أجلها ..

ولم أكن الطالب الوحيد الذى جالس الكونت فى تلك المكتبة ، ولو أننى كنت أشدهم به

اتصالا وأكثرهم به اعجابا . فقد كان يجلس إليه فى بعض الاحايين نفر من المعجبين به وبأحاديثه يسألونه فى مختلف الشئون وهو يجيب كل سائل بتواضع وبشاشة .. ولم يخل الامر أحيانا من بعض الخبثاء يناقشونه فى أمور فلسفية لا تهمهم بقدر ما يهمهم طرافة الموقف ! وهو لا يضن عليهم بالاجابات السديدة . وقد علمت منه أنه كان منذ مجيئه إلى مصر عام ١٩٠٣ ملجأ لعدد كبير من الطلاب المصريين الذين تتلمذوا عليه فى الفلسفة وكانوا يقصدون إليه أنى ذهب .. كما علمت أن الآنسة مى كانت بين تلميذاته النابغات لما كان استاذا بالجامعة وقد رأيته مرة يقرأ بعض مؤلفاتها التى أرسلتها إليه فأبدى فى رأيه لى مى وكتبها ..

وكان هو بدوره يشبه حكماء الاغريق الأقدمين الذين كانوا إذا ما عثروا على راغب فى اقتناء الحكمة سعوا إليه بقدر ما يسعى هو إليهم ليرشدوه ويشجعوه على المضى فى هذا الطريق القويم لا أن يتجاهلوه أو يتنكروا له خشية أن يصبح لهم منافسا يزاحمهم الشهرة ! ..

ورأيته مرة يكتب بحبر الطبع صفحات كبيرة لثلاث كتب فلسفية فرغ من تأليفها وهى « كتاب فلسفة اسبينوزا » و « كتاب فلسفة افلاطون » و « كتاب فلسفة لوك » ثم طبع بمساعدة الخادم على الفالوذج من كل كتاب ثلاث أو اربع نسخ فقط أعطانى واحدة الى المكتبة الملكية وثانية الى مكتبة المدرسة وثالثة حفظها عنده . وأظنها بعض المؤلفات التى عهدت إليه وزارة المعارف بوضعها ولا أدرى اليوم ماحل بهذه الكتب المخطوطة واشد ما أخشى أن تكون قد ذهبت كغيرها مع الريح

وفى عام ١٩٢٣ ـــ ١٩٢٤ سألنا الكونت أن يلقى علينا بعض المحاضرات العامة فلبى الطلب ولكنه فضل اسلوب المحاورة على طريقة افلاطون الذى كان يعجب به كثيرا ويحبه . فاجتمعنا ظهر يوم فى أحد فصول المدرسة وكان موضع المحاورة الاولى « تعريف الحكمة » وقد استغرق ذلك التعريف الاجتماع الأول كله إذ كان كل طالب يدلى برأيه فيناقشه الاستاذ فيه .. وازدحم المكان فى اليوم الأول حتى وقف الكثيرون بالنوافذ والأبواب . فتحدثت الى الكونت بعد الاجتماع عن ذلك الزحام فابتسم وقال إن معظم السامعين يأتون أولا للتفرج ولا يلبث العدد أن يتناقص من تلقاء نفسه حتى يقتصر على محبى الحكمة الحقيقيين . وقد صدق ظنه فما أن جاءت المحاورة السادسة أو

السابعة حتى كان عددنا لا يزيد على العشرة . وفى تلك السنة قام الكونت بتسع عشرة محاورة مع طلبة القسم النهارى وسبع عشرة محاورة مع القسم الليلى الذى فتح أبوابه فى تلك السنة لمن شاء من الموظفين .. وكان الاستاذ فى كل اجتماع مع الطلبة يوزع عليهم ملخص المحاورة التى سبقت ذلك الاجتماع وكان يكتب ذلك الملخص عقب حصول كل محاورة

وفى العام التالى ١٩٢٤ ـــ ١٩٢٥ وهى آخر سنة قضيتها بمدرسة المعلمين العليا أكمل الكونت محاوراته فى الحكمة مع طلبة القسمين النهارى والليلى . وكان طلبة القسم الليلى أشد اقبالا على تلك المحاورات من طلبة القسم النهارى . ولما انتهت تلك المحاورات الفلسفية الجميلة قام الكونت بطبعها على نفقته فى أربعة كتب يشتمل اثنان منها على محاورات القسم النهارى فى سنتين والآخران على محاورات القسم الليلى . وكان بعد أن قام بطبع هذه الكتب الاربعة راضيا مرتاحا بما فعل ..

ومما جاء بمقدمة الجزء الثانى للقسم الليلى قوله :

« ... وقد كان تعليمى للحكمة كله اجابة لطلبة أحرار أرادوه من تلقاء أنفسهم وانتدبونى إليه ولم يكلفوا حضوره البتة ولم يرغبهم فيه نيل أى شهادة خاصة وواظبوا عليه سنتين متواليتين حتى تم بيانى للحكمة وبلغت قصدى فليكن هذا البيان ميراثى »

نقف هنا برهة لنستمع الى الكونت ده جالارزا يقص بنفسه شطرا من تاريخ حياته الذى قصه على بشىء من الاسهاب عام ١٩٢٢ ثم عاد فقصه فى العام التالى على الطلبة فى بدء محاورات الحكمة لتشجيعهم وقد طبع مجمله فى الكتاب الأول من تلك المحاورات قال :

« لا بأس من سرد شىء من حياتى الدنيوية لعلكم تجدون فيه ما يصح أن يكون منشطا لكم ومشجعا على المواظبة على درس الحكمة ... فأقول انى اشتغلت بالحكمة (حتى عام ١٩٢٣) نحوا من سبع وعشرين سنة وبذلت لها حياتى كلها وتقاعدت عن ممارسة الاشغال التى كان والدى يتعاطاها فانه كان رئيس حزب من الاحزاب الكبيرة فى اسبانيا وعضوا فى مجلس شيوخها وعن أشغال أخى أيضا وهو سفير من سفراء اسبانيا . ولما عرفت ست لغات ماعدا اللاتينية واليونانية القديمة ونلت شهادات من فرنسا واسبانيا وانتهيت من دراسة الحقوق وحزت فيها الشهادة الضرورية

للدخول فى مهنة السفراء أشار على والدى بأن أوجد لنفسى مركزا فى الهيئة الاجتماعية يضمن لى السعادة الدنيوية ويكون موردا للرزق مثل ما فعل أخى من قبلى قال : لانا وأن كنا الآن فى سعة من العيش لا ندرى ما يضمره لنا الغد فقلت له : دعنى أستمر على أبحاثى الفلسفية فهى أحسن لى من كل شىء . ولا راحة لى فى الحياة ما دمت لا أعرف الحقيقة ولا الطريق الواجب سلوكه . فقال لى ان الاشتغال فى وظيفة عند سفير لا يمنعك من البحث والقراءة بل يبقى لك سعة من الوقت يمكنك أن تشتغل فيها بما تشاء . ثم هيأ لى وظيفة فى سفارة النمسا لكى أجرب تلك المهنة وكان سفيرها إذ ذاك صديقا له ، فقلت له : إن حبى للحكمة لا يمكننى أن أشرك فيه غيرها .. فلما رأى عزمى على الاشتغال بالحكمة دون سواها امتنع من الالحاح على ثم سمح لى أن أسافر إلى مصر وكنت طلبت السفر إليها لكى أنال العزلة التامة للتفكير والرياضات . فجئت إليها سنة ١٩٠٣ وصرت أرتاض أكثر النهار بقصد انارة العقل وتصفية الروح لتصير أهلا للحكمة ومعرفة الحقيقة . وكانت هذه الرياضات شبيهة بالرياضات التى كان يقوم بها أرباب الاجتهاد الأعظم من الصوفية المسلمين واليوجيين من مذهب اليوجا الهندى فصرفت الهمة الى اكتشاف الصواب بنفسى وجعل اختلاف الحكماء يحثنى على مداومة البحث والتنقيب ولا يدعنى أستريح الى استصواب اى نوع من أنواع الحياة وصغر فى عينى متاع الحياة الدنيا الذى كان متوافرا عندى والتشريفات التى حازتها عائلتى حتى صرت أرى كل شىء تافها بالنسبة الى معرفة سر الكون والصواب الاخلاق

« . وفى سنة ١٩٠٤ تقريبا ذهبت الى الهند لاقابل فى ديفان بالقرب من لوكنو رئيسا للفقراء اسمه وارث على شاه كان مشهورا هناك وكان كثير من امراء الهند المسلمين أتباعا له وكان عمره يبلغ نحوا من مائة سنة فلما قابلته قلت له . انى لم آت إلى الهند لزيارة مايزوره السواح ولا لرؤية شىء من غرائبها بل لزيارتك ورؤيتك ومرادى أن أطلب منك شيئا واحدا وهو أن أكون أنا أنت فأجابنى قائلا : أنا وأنت سوف نكون فى مكان واحد « هناك » . ثم رجعت إلى مصر وسكنت فى حلوان ودأبت فى التفكر وواظبت على الرياضات . وفى سنة ١٩٠٩ كان أول حصولى على ادراك ما كنت أقصده . وفى سنة ١٩٠٨ توفى والدى واتفقت وفاته بذهاب ثروتنا كلها . وكان من أهم الاسباب فى ذلك أنه كان قد صرف مبالغ كبيرة فى شراء أراضى فى الجبال حيث يوجد الخبراء فيها

أثرا للزئبق وفى احضار مايحتاج إليه لحفر المناجم . ثم ظهر أن الزئبق فيها قليل جدا فحينئذ اقتضى الحال أن أزاول مهنــة لاسيا وأن والدتى كانت معى حيث حضرت إلى مصر بعد وفاة والدى فزاولت مهنة المحاماة فى المحاكم المختلفة ولكن لم يتردد على من ذوى القضايا غير قليل بسبب انصراف الاجانب إلى المحامين من جنسهم وقلة الاسبانيين فى مصر . إلا أن هذا لم يكن ليهمنى كثيرا إذ لم يكن قصدى من مزاولة المهنة سوى الاستعانة على المعيشة الدنيوية بل كان قصدى ايصال الباحثين فى الحكمة إلى مرادهم كما وصلت أنا اليه . وكنت قد ربطت هذا القصد بأبحاثى الاولى فاننى حينما كنت أتصور الاله كما يتصوره من لم يعرف بعد وأنا فى سن العشرين تقريبا قلت فى ضميرى : أيها الاله اعطنى الحقيقة لكى أتمكن أنا من اعطائها لمن يبحث عنها مثلى .. ثم قابلت رئيس الجامعة المصرية وأظهرت له شهاداتى وكتابا كنت ألفته فى فلسفة اليونان وطلبت منه الدخول فى الجامعة المصرية فعينت استاذا لتاريخ المذاهب الفلسفية فى الجامعة فيما بين سنة ١٩١٣ وسنة ١٩١٤ ولكنى وجدت المجال أمامى غير مناسب لأن تعليم المذاهب الفلسفية يرجع إلى بيان مذاهب المترددين فى الحكمة المتضاربين فيها . فسعيت فى تغيير عنوان الدروس فأمكننى أن أنال من مجلس الادارة والاساتذة أن أجعل العنوان الفلسفة العامة وتاريخها فصرت أعلم هذا الفن . ثم انتدبونى لتدريس الفلسفة العربية وعلم الاخلاق أيضا وبهذه الوسيلة أمكننى أن أبث قليلا من الافكار المستقلة عن النقل الحائدة عن أقوال الفلاسفــة الذين يعترف أكثرهم فى كتبهم بأنهم لايزالون يبحثون عن الحكمة والحقيقة غير حائزين لها . ولكن مع كل لم أجد فى الجامعة المصرية مناسبة للتدريس المطلوب لانى كنت مقيدا لنموذج خاص وكان الدخول مباحا لكل واحد وكان يرد علينا أحيانا من الجمهور من يكره الفلسفة .»

نقف هنا برهة قبل أن يخرج الكونت من الجامعة المصرية حيث كان زميلا للدكاترة الافاضل طه حسين وهيكل باشا وضيف ومنصور فهمى فقد أقام تلاميذه طلبة الفلسفة بالجامعة فى مساء ١٣ ابريل ١٩١٧ حفلة تكريمية له عند انتهائه من تدريس تاريخ المذاهب الفلسفية عند اليونان والرومان وكان ذلك فى فندق شبرد برآسة الامير حيدر فاضل حضرها الزعيم سعد زغلول وأخذوا صورة تذكارية ظهر بها الكونت جالسا بجوار سعد باشا . وقد ألقت فى هذه الحفلة تلميذته الآنسة مى

بأسلوبها الشعري الرقيق خطابا أشادت فيه بإسبانيا وتاريخها وثقافتها ثم خاطبت استاذها قائلة .

« .. أنت القريب عنا جغرافيا نراك من أكثر الناس اهتماما باتجاهنا المعنوى . وهل يمكن أن يكون المحسن غريبا هناك فى قاعة الدرس الصغيرة . كم استحضرت اشارتك الواسعة نوابغ الأجيال بتوقد عطاردى وبرصانة مفكر قد اعتاد تسنم القوى العقليـة فسردت مذاهب المتقدمين باسطا أقوالهم ، تفند آراءهم ، شارحا ما لامس منها الاعجاز ملخصا نقد الناقدين فآتيا بالنقد عليها جميعا ذلك بسلاسة وإيجاز تكسوهما بلاغة عبقرية .. وبينا بيانك يزيح حجبا ضربن بين المعانى والافهام اذا بالنفوس منا تشب مطلات على آفاق جديدة . فيلحقنا عطش العلم وتأخذنا رغبة السؤال . وروحك الكبيرة العالية منهل نور وحكمة كلما استقينا منها معرفة وضياء زادت تدفقا وتدفقت سخية وديعة صافية يتألق فى تموجها حب العلم وحب الكمال .. »

وفى ذلك الزمن الصافى كان الكونت يختلى بنفسه الرياضة الذهنية فى بعض بقاع مصر الهادئة ويحضرنى مما سمعته منه من عديد القصص والاشارات والحكايات نوادر أجملها هنا فى هذا المقال الموجز المقتضب بعد أن سألت عنها الكونت فأكد صحتها .

فلقد ذهب مرة الى الصحراء المجاورة للاهرام وانفرد فى خيمة نائية ليفكر ويتريض فى هدوء وعزلة ولكن سرعان ماذاع صيته بين سياح تلك الجهة وظنه بعضهم منجما أو ساحرا أو مستحضرا للأرواح فى تلك الخلوة بصحراء الاهرام وجاءته يوما احدى الكونتسات الوجيهات وحدثته عن موت أخيها وعن رغبتها فى استحضار روحه فطلب منها أن تحضر فى اليوم التالى ولعله أراد أن يصرفها عنه فى ذلك اليوم ولكنها بدلا من أن تعود إليه تملكها خوف غريب وسافرت فى الحال الى الاسكندرية حيث رحلت إلى بلادها على أول باخرة ! "

وذهب الكونت مرة إلى رأس البر حيث كان يقضى الصيف أحيانا فى عش منعزل يطل على أمواج البحر المتوسط فذاع خبره بين المصطافين وجاءه منهم نفر يطلب منه أن يلقى عليهم محاضرة واذا كانت محاضراته كلها فلسفية وكان يشك فى محبتهم للفلسفه فقد جلس بينهم فى الاجتماع الذى رتبوه وقال لهم : ليسأل كل من حضراتكم ما يجب ان يعرف من المسائل لاجيبه عليها فأخذ كل واحد يسأل فيما عن له من مختلف الاسئلة وكان الكونت يجيب الجميع اجابة سديدة مقنعة كأنه

اعدها من قبل حتى دهش الجميع ..

وحدثني احد تلاميذه بدمياط مرة ان الكونت وعده بالزيارة في ساعة حددها من ليلة معينة ولكنه بدلا من ان يحضر بذاته فقد راى التلميذ في الموعد المعين صورة الكونت او شبحه او روحه أمامه في الغرفة . وقد سألت الكونت عن هذه الرواية فأجابني بأن هذا أمر مألوف لدى بعض المتصوفة في الهند وغيرها وأنه يمكن فصل الروح عن الجسد في أحوال خاصة قبل موت الجسد أو بعده ثم أخذ يفسر هذه الآراء الغريبة بإسهاب لايتسع له هنا المقام غير أني أظن أن الأمر في هذه القصة لايتعدى نوعا من الاستهواء أو التنويم ..

ثم يكمل الكونت قصة حياته بقوله :

« ثم خرجت من الجامعة المصرية وعينت في مدرسة المعلمين العليا فوجدت فيها طلبة متمرنين على التفكير فأخذت أحقق قصدى الذى جعلته أمامى منذ سنين عديدة ولا أعني بعد تمامه غير الانصراف الى الراحة التامة. فها أنذا قد أطلعتكم على صفحة من حياة انسان مجتهد اطلع على آراء الشرق والغرب ملتفتا اليكم التفات الذى يشعر كأنه هو أنتم بالغا في خيركم رغبة الاب والام في خير ابنائهما لان الذى يحملني على تدريس الحكمة حبي والذى على الحزون في نفسي وكوني عديم الاولاد لاني لم أتزوج فليس لى من أبذل له شعوري غير الذين يحبون الحكمة كما أحبها وليست أقول عن نفسي أني فيلسوف اذ الفيلسوف معناه محب الحكمة الطالب لها ، ولكني أقول دون أن أخشى لوم لائم اني أعرف الحكمة وأستطيع أن أرشد اليها وأنا حر في آرائي وحريتي تامة وهي حرية الذى لايهمه من الدنيا شيء وهو مستعد لفراقها في كل لحظة . »

والآن لقد وصلت قصة الفيلسوف الى نهايتها :

كنت أزور الكونت في المكتبة وكنت أجده في أول أمره بالعمل هادئا معتكفا قانعا ثم أخذت الحال تتبدل فقد ماتت امه التى يحبها وتحبه والتى كانت تسكن معه بالقاهرة بعد موت أبيه فأصبح بعد موتها وحيدا في العالم وفي الغربة يكاد لايفارق منزله الا الى المكتبة حيث يظل كل يوم جالسا من الصبح حتى الواحدة بعد الظهر . ولم تكن له سلوى في الحياة غير كتبه الفلسفية . وقد اتضح لي أن عمله في مكتبة المدرسة بات عبئا ثقيلا على نفسه فقد كان الوسط في أول عهده بالعمل ساكـ

هادئا وكان الطلبة قليلين والعمل يسير بهدوء وسلام تحبهما نفسه ويحتاج اليهما فكره ثم سرعان ماتبدلت الحال وراج سوق مدرسة المعلمين وفتحت الاقسام النهارية والليلية أبوابها لاكثر من الف طالب يلقنهم المنهج عشرات المدرسين واختزلت قاعة المكتبة الفسيحة بسبب الزحام الى حجرة صغيرة وأخذ الزحام يكتنف الفيلسوف من كل صوب وزاد احتكاكه بمختلف العقليات والنفسيات ولم ير فيه بعض التلاميذ غير موظف لاعارة الكتب وتقييدها فى الدفاتر الطويلة السوداء أمامه .ولم يكن وهو ذلك الخبير بالنفوس فى حاجة الى دراسة الاخلاق ومداراة الطباع بقدر حاجته الى الهدوء والاعتكاف . ولكنه رضى بنصيبه وقابل الحياة بنظرته الفلسفية العميقة وأخلاقه العالية الكريمة ووجهه المشرق الباسم ..

ولكن الدهر لم يدعه آمنا فأنزل به تجربة جديدة . اذ فصلوه من وظيفته لانه اجنبي فشغل مكانه مصرى أجدر منه بهذا المركز . وهنا خرج الكونت الى معترك الحياة لايحمل معه غير رأس ممتلىء بالحكمة والعلم ونفس مفعمة بالطيبة والسماحة — ولم يكن أمامه اذ وقد نيف على الخمسين من العمر مورد للرزق غير الفلسفة . ومتى كانت الفلسفة عندنا موردا للرزق ؟ فظل الحكيم فترة بلا عمل ثم أخذ يعرض أثاث منزله للبيع . من ذا يشترى فونوغراف الكونت ده جالارزا ؟! كان ينثر درر الافكار مجانا لكل سائل . كان يعلم الحكمة خمسا وعشرين سنة فى أرض مصر . كان يستمع الى حكمته الالوف ويتتلمذ له المئات . « لقد رفض الجميع مساعدتى ! حتى صديق . لم يساعدنى » تلك كانت اخر كلمة سمعتها من فيه . ثم عضته الحاجة بنابها . ثم اختفى وطويت من هذا البلد الجاحد الفضل صفحته . قالوا لقد رحل الى الهند وقال آخرون بل توفاه الله . فلتكن هذه الكلمة كل مانستطيع اليوم أن نفعله اعترافا بجميلك أيها الاستاذ الكريم ، وكل مانستطيع أن نؤديه اليوم تخليدا لذكراك !..

نقولا يوسف

الصحافة الانجليزية

لا يمر يوم الا وتنقل صحفنا خبرا او اقتباسا من مقال لاحدى الجرائد او المجلات الانجليزية . ولذلك يليق بنا ان نعرف شيئا عن الصحافة الانجليزية حتى نقدر ما تنقله الينا منها التلغرافات . وايضاً نستطيع المقابلة بينها وبين صحافتنا

واهم ما تمتاز به الصحافة الانجليزية نزعتها الديمقراطية وشعورها العميق بتبعاتها واحترامها العظيم للشخصيات .

ولعل هذه الصفة الاخيرة ترجع الى قسوة القانون فى العقوبات الخاصة بالسب والقذف ، فان غرامة عشرة الاف جنيه ليست كبيرة فى التعويض عن قذف صحفى لاحد الاشخاص او احدى الهيئات . ولكن ازاء هذا تباح حرية النقد للوزراء والهيئات العامة الى حد يتجاوز خيالنا

والصحف الانجليزية هى بالطبع يومية واسبوعية وشهرية ، كما هى الحال المألوفة عندنا . ولكن مالم نألفه ان عند الانجليز مجلات ربعية اى تصدر فى نهاية ربع السنة اربع مرات فى العام . وهى مجلات ضخمة يباع العدد منها بنحو اربعين قرشا وهى تعالج العلوم والسياسة . وعلى ذكر السياسة نقول ان جميع المجلات الشهرية الكبرى تعالج السياسة باقلام الزعماء والقادة

وقوة الصحافة الانجليزية كبيرة جدا ولكنها لا تتمشى مع انتشارها فان مقالا ينشر فى مجلة شهرية او اسبوعية او فى جريدة يومية محدودة الانتشار قد يكون له من الاثر التوجيهى او الانقلابى اكثر من مقال ينشر فى جريدة يومية تطبع مليونى نسخة . لان هناك صحفا محدودة ولكنها تجد الرواج بين زعماء الفكر ، وهناك جرائد بلغت الملايين فى عدد ما تطبع كل يوم او كل اسبوع ولكنها تخاطب السواد الذى ينقاد لزعمائه . ولهذا السبب يكون للمقال الذى تنشره التيمس وقراؤها حسب آخر احصاء ٤٩١ر٢٠٤ اثر عميق وابعد من مقال تنشره الديلى اكسبرس وهى تطبع الملايين كل يوم

وقد عرفت الصحافة الانجليزية وتتبعتها منذ اكثر من ثلاثين سنة . واستطيع ان اقول انها في تطورها في هذه المدة قد اتجهت نحو الطرق الأمريكية . فقد كانت الديلي تلغراف قبل سنة ١٩١٠ تنشر مقالاتها الافتتاحية بلا عنوان كراهة للارجاف . وكان المقال يستغرق عمودا اى نحو اربعة اعمدة من جرائدنا . وكانت عناوين الأخبار هادئة رزينة . وكانت الصور تعد من لعب الصبيان التي يجب ان تأنف منها جريدة نشأت على الوقار والرزانة . ولكن كل هذا قد تغير . فان الصورة قد تحيرت المكان الذى تستحق بحق وفضل . وقد عم الايجاز المقالات الافتتاحية حتى يصح ان توصف بالتعليقات بدلا من المقالات . وانتقل الارجاف الى العناوين فصارت تصيح بل تصرخ في وجه القارىء ومما ينسجم وهذه النزعة ان الصفحة الاولى كانت في تلك الجرائد الرزينة تختص بالاعلانات ومع ان بعضها لا يزال يتعلق بهذه العادة فان الرغبة في الاساليب الامريكية قد حملت اكثر الجرائد على ان تخص صفحتها الاولى بالاخبار الخطيرة . وقد كانت الاجبشيان جازيت (في القاهرة) تجرى على هذا التقليد البريطاني ولكن الروح المصرى تغلب عليها منذ بداية هذه الحرب فصارت صفحتها الاولى للاخبار

ويقال بحق ان الروح المصرى في الصحافة الانجليزية يعزى الى اثنين اولهما هارمزورث الذى انشأ الديلي ميل ، والثانى ستيد الذى انشأ مجلة المجلات (ريفيوا وفريفيوز) وكلاهما عمل على استقطار الاخبار واستخلاصها وايجازها . والالتفات الى قيمة العامل الشخصى وكثرة بل وفرة العناوين والصور

والجرائد اليومية في انجلترا ليست كثيرة . لأن شدة المزاحمة تسحق الجريدة الضعيفة . والقارىء في لندن او مانشستر يختلف من القارىء في باريس او بروكسل من حيث انه يطلب الاخبار قبل كل شيء ولا يبالى الآراء . فجرائد الآراء التى ترى في عاصمة النور والتى تبعث في القارىء رجات عصبية وعواطف ذهنية لها لذتها وقيمتها لا وجود لها في لندن . وجريدة الآراء قليلة التكاليف وهى تقنع باربع صفحات . ولذلك تتعدد الجرائد في باريس ويقل عددها في لندن

واذا ذكرت الصحافة الانجليزية فان التيمس تثب الى الذهن . وهى جريدة تكاد تتوق بعناية وحرص الاعلان من نفسها فضلا عن الارجاف وهى في الانتشار محدودة ولم تبلغ قط ربع مليون .

ولكن لها الرأى الاول والكلمة المسموعة . وهى منظمة مهذبة مفهرسة كأنها كتاب قد اتفق شهور على الاقل على اخراجه . وهى جريدة محافظة . ولكن المحافظين الانجليز فى الوقت الحاضر لا يختلفون من الاحرار كثيرا . ويصعب كل الصعوبة ان يعين الانسان برنامجا لكل من الحزبين

ويقابل التيمس عند الاحرار جريدة مانشستر جارديان . وهى من حيث النزعة الجدية تتفق مع التيمس ، ولكنها أخف منها وقعا على القلب تنزع كثيرا الى الاداب والفنون وتجرؤ فى غير طيش ، وقد وصفت مرة بأنها افضل جريدة فى العالم . وقل ان تخلو هيئة التحرير فيها من اديب إبارز يبس الازياء الجديدة فى الادب . وتمتاز بالاعتدال حتى يمكن ان يقال انها محبوبة من المحافظين ومن الاشتراكيين معا . وهى تمثل اراء الحزبين فى مانشستر وتقرأ فى لندن بعناية . وليس لدى احصاء عن مبلغ انتشارها ولكن مما لاشك فيه انه يزيد على ربع مليون

وتمتاز الديلى تلغراف باخبارها السياسية المسهبة . فان القارىء يجد فيها كل يوم بيانا موجزا أو مسهبا . — وفى الاغلب مسهب — المناقشات فى برلمانات العواصم الاوربية . وبلغ انتشارها فى العام الماضى ٠٠٠ ر ٧٦٣ وقد اندمجت فيها المورننج بوست جريدة المحافظين القديمة والديلى تلغراف تمثل رأى المحافظين

هذه الجرائد الثلاثة . التيمس والمانشستر جارديان والديلى تلغراف هى الجرائد السياسية وقيادة الرأى العام والاتجاهات الدبلوماتية . وهى مع اعتناقها مبادىء الصحافة العصرية لا تزال تترفع عن النزول الى الاساليب التى تجذب سواد القراء . هذه الاساليب التى ترى على اقصاها فى بعض جرائد الاحد وخاصة نيوز اوف ذى ورلد التى بلغ انتشارها حسب اخر احصاء ٠٠٠ ر ٧٥٠ ر ٣ وربما لا تتمتع فى العالم كله جريدة بمثل هذا الانتشار ، ولكن هذه الجريدة على الرغم من هذا الانتشار المكتسح ليس لرأيها فى السياسة او غير السياسة وزن . ذلك انها تقرأ للتسلية . وهى تهتم كثيرا بايراد التفاصيل عن الجرائم . وقد كانت قبل نحو عشرة اعوام تمتع قراءها بايراد تفاصيل المناقشات فى محاكم الطلاق . ولكن البرلمان منع نشر هذه المناقشات حفظا للصحة الاخلاقية

وهناك طبقة من الجرائد اليومية تقف وسطا بين الجد والتسلية وهى التى تشتريها الكافة ولا نقول العامة او السواد . وهى تأخذ بالايجاز والتصوير وتميل كثيرا الى الرأى القائل بأن الخبر

الذى يروى قصة الرجل الذى يعض الكلب خير من الخبر الذى يروى قصة الكلب الذى يعض الرجل . ولكنها من نزوعها الى الغرائب ومع عناوينها التى تنساح على الصفحات انسياحا لا تزال تعطى السياسة والشئون الاجتماعيه اعظم التفاتها . وهى حين تنشب حرب مثلا تستطيع بما لها من قوة مالية كبيرة ان تستخدم اعظم الرجال خبرة وابلغ الوسائل فى النقل فى جلب الاخبار وهذه الجرائد تطبع كل منها اكثر من مليون نسخة .وهى :

الديلى ميل وهى محافظة وقد كانت اولى الجرائد الانجليزية فى الاخذ بالروح العصرى اى المقال القصير . والخبر الموجز . والصور والنزوع الى التسلية . والرغبة فى الغرائب والمدهشات . والعناية بشئون المرأة والمنزل . ومهما يكن رأى القارىء فى السياسة او الصحافة فانه لا بد ان تجذبه صفحات الديلى ميل برونقها فى الترتيب واسلوبها فى الايراد للاخبار

وتلى الديلى ميل — بل ربما تتفوق عليها — الديلى اكسبرس . فان صفحاتها ترقص خفة وروا . والخبر التافه يجد التزويق الفنى الذى يجعله جذابا مختطف العين . وهى ايضاً محافظة ولا تبالى التوغل فى المذهب الامبراطورى . ولا اكاد اعرف جريدة فى اوربا او امريكا تمتاز بالفن الصحفى مثل الديلى اكسبرس . فانها من جرائد السواد التى لا تستنكف الخاصة من قراءتها

اما النيوز كرونيكل فانها من جرائد الاحرار وقد كانت ولا تزال الخصم اللدود للنازية والفاشية وهى تمالى جميع الحركات الحرة فى العالم ويقول اخر احصاء لها (فى العام الماضى) انها تطبع ١٧٦ر١٣١٧ر١ وتقاليد الاحرار وذكرى المبادىء التى كان يقول بها جلادستون لا يزال صداها يرن على اقلام الكتاب بلهجة الجد والوقار فى المانشستر جارديان وبلهجة المرح فى النيوز كرونيكل

اما الديلى هيرالد فهى جريدة العمال ولا يقل انتشارها عن مليون ونصف .وقصة هذه الجريدة تحوى من العبرة والمغزى ما يستحق الالتفات والدرس فى النزعات العصرية . فقد انشئت اشتراكية فكانت تدعو الى الاراء الاشتراكية فى مثابرة وتلتزم الجد ولا تسلم بقليل او كثير من النزعات العامية فلا صورة ولا مقال يسلى ولا جريمة تذكر تفاصيلها المروعة . فكانت الخسائر تتلو الخسائر عاما بعد عاما آخر لقلة القراء . ثم تولاها صحفى همه الاول الصحافة قبل السياسة فأحالها الى نسخة اخرى من الديلى اكسبرس : اخبار موجزة مثيرة وصور جاذبة . وصفحات كأنها مجلات . فوثبت

الجريدة الى الارقام الفلكية فى الانتشار وهذه الجريدة هى الان شركة تملك نقابات العمال ٤٩ فى المئة وتملك بيت اودهام ٥١ فى المئة من اسهمها . وقد شرط المؤسسون ان تلتزم الجريدة تأييد العمال . ولكن هذا التأييد ليس صارخا بل لا يشعر القارىء الاجنبي انها من جرائد العمال الا اذا داوم على قراءتها اسابيع بل اشهر . لان اخبار العمال لا تبرز ، وكل ماقى الامر ان الجريدة وقت الانتخابات تؤيد المرشحين من العمال كما انها تؤيد مشروعات البرلمان التى تخدم مصالح العمال

وجرائد الاحد تنقسم الى قسمين الجدى الوقور مثل الاوبزرفر ويحرره صحفى قديم يمثل اشرف المبادىء الصحفية الانجليزية هو المستر جارفن .. ومثل الصنداى تيمس والقسم الثانى هو جرائد التسلية مثل الصنداى اكبرس والصنداى كرونيكل . وفى اقصى هذا القسم نيوز اوف ذى ورلد التى اوشكت ان تبلغ اربعة ملايين نسخة وهى للهو والتسلية

ويمتاز الانجليز بمجلات اسبوعية تنشد المثليات وتنزع الى الجد فى السياسة والثقافة . وهى محدودة الانتشار فقلما يزيد المطبوع منها على ثلاثين الف نسخة ولكنها كبيرة الاثر محترمة الرأى عند الساسة والقادة .

ومن هذه المجلات ذى سبكتاتور وذى نيوستيتسمان . وهى تعالج الادب واحيانا العلوم ولا تنزل الى اية تسوية بينها وبين العامة . فلا صورة ولا عنوان ضخم ولا فكاهة . وهناك بالطبع صحف اى مجلات اسبوعية مصورة كبيرة

اما الصحافة الشهرية فتستحق التفاتا . ذلك لأنها تخالف مألوفنا من حيث عنايتها الكبرى بالسياسة والاجتماع والاقتصاد . وكثيرا ما يكتب فيها الوزراء وقواد الجيش وولاة المستعمرات واساتذة الجامعات وثمن العدد يتراوح بين ١٢ قرشا و ١٨ قرشا . واشهر هذه المجلات مجلة القرن التاسع عشر وما بعده . ومجلة كونتمبرارى اى المعاصرة . ومجلة فورتنيتلى اى التى تصدر مرة كل اسبوعين . وقد كانت كذلك فى الاصل ولكنها استحالت الى شهرية واستبقت اسمها القديم . وهو اسم تاريخى عظيم يلتصق باللورد مورلى الذى كان يرأس فى وقت ما تحريرها

وهنا يجب ان نقف لكى نلاحظ ان الايحاء فى الاراء السياسية او الاقتصادية يصدر عن المجلات الشهرية اولا ثم تليها المجلات الاسبوعية . ثم تلى هاتين الجرائد اليومية . وهذا هو نقيض ما ننتظر

ولكن السبب لهذه الحال ان الخاصة التي تتزعم في السياسة او الاقتصاد او الاجتماع تكتب في هذه المجلات دون الجرائد اليومية . وفي هذا الصدد يمكن ان نورد قصة ذكرت في حياة الوزير جلادستون . فانه حين اراد ان يحمل البرلمان على منح الارلنديين استقلالا ذاتيا اوعز الى احد الاعضاء بكتابة مقال في هذا المعنى في احدى المجلات الشهرية وكان هذا المقال بداية النضال بين جلادستون وبين المستر جوزيف تشمبرلن (والد المستر نفيل تشمبرلن) الذى الف حزب الاتحاديين اى القائلين بالاتحاد مع ارلندا وهنا يجب ان نذكر مجلتين اسبوعتين لا نسمع عنهما في مصر ولا ترد التلغرافات بذكر احديهما اولهما مجلة بنش الهزلية . فانها تختص بالفكاهة التى تسجل التاريخ كما لو كانت تكويه بميسم من نار . وبعض فكاهاتها لهذا السبب نرى الان في كتب التاريخ . فان اخراج الامبراطور فيلهلم للمستشار بسمارك سنة ١٨٩٠ قد سجل برسم كاريكاتورى في هذه المجلة لن ينسى . اذ نرى سفينة وقد وقف عليها الامبراطور متطلعا ونزل المستشار (وهو الربان) على الدرج مطرودا . وكاننا نتساءل كيف تسير السفينة بعد ان تركها الربان ؟

اما المجلة الثانية فهى ينتشر اى الطبيعة . وهى مجلة علمية لا يقرأها الا الراسخون في مختلف العلوم . وقد عاشت خمسين سنة وهى لا تسد نفقاتها . ولكنها الآن في حال مالية حسنة كما تدل على ذلك اعلاناتها . وربما لا تضارعها مجلة اخرى في معالجتها مختلف العلوم في مثابرة وجد

ولا يمكن ان نتحدث عن الصحافة دون ان نبين علاقتها بالرأى العام او نشير على الاقل الى ذلك . ولكن من الشاق ان نقدر تأثير الصحافة ، فقد اجريت في بريطانيا انتخابات متكررة كانت فيها الصحف تدعو الى آراء معينة ولكن الجمهور لم يبال هذه الدعايات واعطى اصواته بضد ما دعت اليه الصحف . وليس للعمال في بريطانيا غير جريدة يومية واحدة ومع ذلك كسب العمال الانتخابات بل كسبوها حتى حين كانت هذه الجريدة لا تقرأ الا بين عدد محدود . وظنى ان ما يقال عن تأثير الصحافة في الرأى العام مبالغ فيه ، وقد يكون هذا لأن الصحف تتجاوز هدفها بالمبالغة والالحاح او لان الجمهور يسأم التكرار . وعلى كل حال لا يمكن الصحف ان تكسب قضية يعتقد الجمهور انها خاسرة

وخلاصة القول ان الصحف الانجليزية في ديمقراطيتها وحريتها تمثل أحسن التقاليد الصحفية للعالم المتمدن

وظيفة الامتحانات في المدارس الحديثة

ثلاث محاضرات القاها الاستاذ بوفيه مدير معهد جان جاك روسو في القاهرة
وترجمها الاستاذ امين مرسي قنديل

لقد اختلفت وظيفة الامتحانات باختلاف العصور ومراحل التربية . وسأحاول ان ابين ان الناس كانوا ينظرون الى مشكلة الامتحانات من وجهة نظر جديدة في كل مرحلة هامة من مراحل تاريخ التربية . واذا كان الامر كذلك فلا داعي للدهشة اذا ماطمحت المدارس الحديثة الآن في ان تحدد هي الاخرى هذه المشكلة وتضعها في وضع جديد ملائم لغاياتها ومبادئها . وساوضح اقوالي بامثال استقيتها من احوال التربية في الغرب لا من البلاد الشرقية على اني واثق من ان الذين توفروا على دراسة تاريخ مشاكل التعليم في الشرق لن يلاقوا صعوبة ما في ان يجدوا امثالا تشبه ما سأذكر

أن نشأة نظم التربية في الغرب ترجع الى أصول شتى ، وقد اعتدنا أن نقسم معاهد التربية عندنا بوجه عام الى مدارس ابتدائية وثانوية وعاليه (جامعات) . وكل نوع من هـــذه الأنواع يرجع في نشأته الى عصر خاص . وأقدم الثلاثة هي الجامعات ، فنشأتها ترجع الى القرون الوسطى التى فيها نشأ الأزهر مدرستكم الشهيرة . وانا لنلمس في جامعاتنا الغربية أثر النظم الاسلامية فيها واضحا كل الوضوح فما كان لابن رشد من الاثر في الجامعات الايطالية المختلفة في أواخر القرون الوسطى لدليل واضح على ما كان للاسلام من فضل على الجامعات الغربية .

كان للامتحانات في القرون الوسطى صبغة خاصة تتفق كل الاتفاق مع طبيعة الجامعات ودائرة أعمالها . وكلمة جامعة اللاتينية لاتشير بحال من الاحوال الى تلك العلوم والمعارف الجامعة لكل شيء التى ينبغى للطالب أن يحصلها فيهـــا ، كما سبق الى وهم الكثيرين ، ولكنها تدل على معنى آخر

أبسط من ذلك وأكثر تواضعا . فهى فى الاصل لا تدل إلا على مانسميه نحن الآن « هيئة » أو جماعة أو طائفة وكان الغرض فى تكوين هذه الهيئة أن تضم شمل مدرسى كل معهد من هذه المعاهد بقصد الدفاع عما لهم من الحقوق والامتيازات الخاصه التى كانت تدون كتابة فى المرسوم الذى كان يصدر باعتمادها والذى كان يشمل أيضا الواجبات والتكاليف التى تفرض على هؤلاء المدرسين .

وكلمة « شيخ » أو رئيس (ريكتور) كانت تستعمل فى ذلك الوقت للدلالة على رياسة أية طائفة من الطوائف الكثيرة سواء كانت طائفة خبازين أو جزارين أو أية طائفة أخرى من أصحاب الحرف والصناعات . وكذلك كان لطائفة المدرسين أيضا رئيسهم أو شيخهم . وكما كان أعضاء كل طائفة من الصناع والمحترفين ينقسمون الى ثلاث مراتب أو درجات: «صبيان» و«صناع» و«معلمين» فكذلك صار فى كل جامعة ثلاث درجات معروفة لكم الآن كل المعرفة وهى « البكالوريا ، والليسانس ، والاستاذية أو الدكتوراه » وما كان لأحد أن يعد معلما فى مهنته من غير أن يجوز لذلك امتحانا خاصا ، يختلف بالعلم باختلاف المهنة . ومن شاء أن يشتغل بمهنة التدريس كان عليه كذلك أن يجتاز امتحانا فى هذا التعليم وصناعته بحسب عادات ذلك الوقت ومألوفه . وهذا هو المعنى لكلمة « رسالة » التى كان على الطالب أن يقدمها ويقف مدافعا عنها بأدلة وبراهين مأخوذة من آراء الثقات المعترف بهم من العلماء قبل أن يقال عنه أنه أصبح أهلا للاشتغال بمهنة التدريس . فهذا الامتحان هو اختبار للمهارة الخاصة التى حصل عليها الطالب فى فنه ، فهو امتحان على ما نسميه الآن مثل تلك الامتحانات التى تعقد عندنا فى كليات الطب للتأكد من أن الطالب صار قادرا على تشخيص المرض ووصف العلاج الملائم له . وانى لا أرى أن يوما سيأتى علينا نستغنى فيه عن الامتحانات ذات الصيغة العملية هذه لكل من يريد أن يشتغل بمهنة من تلك المهن التى ترى وجوب أن تكون منظمة .

أما المدارس الأوربية الثانوية سواء أكانت مما يطلق عليه اسم « جمناز » أو « ليسيه » أو « كليج » فلها أصل آخر يختلف كل الاختلاف عن أصل الجامعات . فهى من ثمرات عصر النهضة تلك الحركة الفكرية العامة التى نصبت للتربية فى مدائن ايطاليا وهولنده وفرنسا وألمانيا غرضا جديدا هو دراسة آداب الاغريق والرومان وفصاحتهم وأشعارهم . فللوصول الى هذا الغرض الجديد كل

الجدة كان لامناص من انشاء معاهد جديدة تعنى بتدريس اللغات القديمة فى اصولها — تلك اللغات التى كانت فيا مضى أساسا للعلم والبحث كاللغة العبرية والاغريقية واللاتينية . وقد نظمت هذه المدارس من البداية على أسلوب مستحدث عده الناس فى القرن السادس عشر ثوريا فى شكله ومحتوياته . والجديد فى تنظيم هذه المدارس هو تقسيم التلاميذ إلى فرق وفصول لكل منهاج خاص متدرج محدود اما قبل ذلك فكان التلاميذ فى المدارس الابتدائية (أن كانت) والطلبة فى الجامعات يجلسون معا المبتدىء منهم والمتقدم ويدرسون أو يعملون عملا واحدا بعينه يختار منه كل طالب ما يراه مناسبا لمقدرته وقوته وكانت النتيجة عادة ضئيلة كل الضآلة .

أما وقد أصبح الغرض من التعليم فى هذه المدارس واضحا محدودا وهو تعليم الكتابة والتحرير باللغات القديمة مع مراعاة الدقة والرشاقة فى الاساليب فقد صار من الميسور تحديد المراحل التى توصل الى هذا الغرض . وفعلا حددت كل مرحلة بدقة وأول من طبق هذا النظام واتخذ منهاجا متدرجا وقسم المدرسة الى فصول وفرق كان الالمانى شتورم فى جمناز مدينة ستراسبورج . فكان لاشك خطوة الى الامام فى سبيل تنظيم المدرسة وطرق التدريس فيها . وقد نقل كالفن هذا النظام إلى مدينة جنيف سنه ١٥٥٩ ومنها انتشر فى أوربا كما يقال على أنه لم ينقض القرن السادس عشر حتى صارت عليه مدارس اليسوعيين المنتشرة فى كل مكان .

وهذه الخطوة الجديدة تضمنت شكلا آخر من أشكال الامتحانات ، فنى آخر كل سنة كانت تعقد حفلة كبيرة يسمونها حفلة الانتقال تعلن فيها أسماء الطلبة الذين تقرر نقلهم من فرقة الى أخرى أعلى منها : أى الطلبة الذين صاروا اهلا لأن يخطوا خطوة جديدة فى سبيل الوصول الى الغرض النهائى وكان المعتاد فى مدينة ستراسبورج أن يسمح للطالب الذى لم ينقل الى فرقة أعلى ويرى نفسه مظلوما أن يتحدى زملاءه الآخرين الذين كانوا أسعد منه حظا ويوجه اليهم أسئلة حتى يقنع بأنهم حقا أولى منه بمواصلة الدراسة .

ولقد أدخلت الآن دراسة اللغات الحديثة فى مناهجنا ولا يخفى أن طبيعة التمرينات الكثير من انشاء وشرح وغيرهما التى تستلزمها دراسة اللغات لا تختلف فى كثير عن تلك التمرينات التى كانت متبعة فى مدارس تلك العصور . ولاتزال مدارسنا اليوم تجد فى هذه التمرينات مجالا

لاختبارات دقيقة تبين لنا الى أى حد حذق الطالب اللغة . فهذه التمرينات يمكن أن تعد هى أيضا اختبارات للمهارة التى حصل عليها الطالب .

فالامتحانات فى المدارس الثانوية وفى الجامعات كانت إذن امتحانات مهارة .

أما المدرسة الابتدائية فقد نشأت نتيجة الحركة التى قامت للمطالبة بتعليم أفراد الشعب — تلك الحركة المقرونة باسم بستالزى وبمبادىء الثورة الفرنسية الكبرى . والامتحانات فى المدارس الابتدائية تختلف كل الاختلاف عما رأيناه فى المدارس الثانوية وفى الجامعات . فقد كانت « زيارات » تقوم بها لجنة المدارس البلدية بشكل دائم مرة أو اثنتين فى العام لمدة أسبوع أو أسبوعين لكل فصل من فصول المدرسة على التوالى . ولم يكن الغرض من هذه الزيارات مقصورا على اختبار التلاميذ بل كانت ترمى فى الغالب الى التفتيش على المدرس نفسه . فعقب كل امتحان كانت اللجنة تجمع أمامها كل مدرسى المدرسة ثم تدعو كلا منهم على حدة لتجازيه مدحا وثناء أو لوما وتعنيفا بحسب ما تدل عليه نتائج أعماله .

وقد استمرت الامتحانات السنوية هذه فى مدارس الأرياف بجرجوف سويسرة على هذا النظام مع بعض تعديل فيه الى عصرنا الحاضر ، وكم من مرة احتجت جمعيات المدرسين على هذه الطريقة فى الامتحان التى لا تسمح بحكم عادل لا على المدرس ولا على أعمال التلاميذ .

ولقد كان عصر بستالزى هو العصر الذى قام فيه لانكستر بايجاد نظام التعليم التبادلى أو نظام العرفاء ، وقد كانت الامتحانات فى المدارس التى تسير على هذا النظام معتبرة جزءا من عمل المدرسة اليومى ، فلم تكن تعقد كل سنة فى حفلة رائعة . فالتلميذ كان يحصل على المهارة المطلوبة فى كل مادة من مواد المنهج — ولم تكن المناهج تشمل غير القراءة والكتابة والحساب — عن طريق نظام معين محدود وتمرينات محدودة كذلك . وكان التلاميذ ينقلون باستمرار من « فصل » الى آخر أو كانوا كلهم مجموعين فى حجرة واحدة فسيحة ، كان لانكستر واضع هذا النظام يطمح أن يحشد فيها ما يقرب من الألف تلميذ يتلقون الدروس على يد مدرس واحد . ان ما يتطلبه هذا النظام من خطوات محدودة متدرجة ومرتبة ترتيبا دقيقا ، ومن عناية بالعمل الفردى ، واهتمام بعمل الاحصائيات المفصلة ليذكرنا كله ببعض مظاهر طريقة وينتكا الحديثة ولكن النتيجة يمكن أن يراها أى انسان

فى أى وقت من أوقات السنة . على أن النهج الذى اتبعته هذه المدارس كان على أشد ما يكون من الضيق والقصور ولذا لم يكن ثمت بد من أن يلحقها الفشل . فطريقتها آلية الى حد كبير ، ومع ذلك فانا رأيناها ناجحة كل النجاح فى مدينة فرايبورج على يد مرب قدير مثل الأب جيرار الذى نفخ فيها روحا جديدة من روحه هو .

لم نشر فى هـذه النظرة العجلى الى نوع خاص من الامتحانات نشأ فى بداية ظهور معاهدنا الحديثة — تلك الامتحانات التى تشغل بال كل من الاباء والمدرسين والتلاميـذ جميعا اذ هى التى تفتح أمام الطالب الناجح ابواب الجامعات والمدارس المهنية المختلفة — وأقصد بها امتحان البكالوريا أو ما يوازيها من الامتحانات الاخرى . لم تـكن هذه الامتحانات نتيجة لحركة من حركات التربية الـكبرى كما أنها لم تـكن فى نشأتها متصلة بنهضة من النهضات . وانما يرجع أصلها الى نابليون والى ميله الشديد الى التنظيم والادارة

ولقد حملت هذه الامتحانات القرن التاسع عشر مميزات جديدة . فلم نـكن نسمع من قبل أن عدم الحصول على شهادات مدرسية قد وقف عقبة فى سبيل رجل ما تمنعه من التقدم فى حياته الادبية أو العلمية والاجتماعيـة . أما الآن فقد صارت الامتحانات كما تعلمون أساسا من الاسس التى تقوم عليها الحياة السياسية فى الوقت الحاضر . ولا غرو اذن أن يقوم فى بعض البلاد رجال يتحدون هذا النظام ويوجهون اليه سهام النقد والتجريح . وجماعة التربية الحديثـة نفسها لم تقصر فى ذلك فقد قامت بعمل بحث مستفيض فى موضوع الامتحانات . ولقد تكونت لهذا الغرض نفسه أثناء انعقاد المؤتمر الدولى فى ايستبورن بانجلترا سنة ١٩٣٦ لجنة تابعة لجماعة كارنجى ننتظر أن تكون أعمالها مثمرة ونتائج جهودها قيمة . فقد ظلت هذه اللجنة قائمة بمباحث تجريبية مـدة السنوات الثلاث الاخيرة فى انجلترا واسكتلنده وفرنسا وألمانيا وسويسره وينتظر نشر نتائج أبحاثهـا فى الاشهر المقبلة ولقد بدا فى سويسرة من سنوات مضت ميل واضح إلى التقليل من أهمية الامتحانات المدرسية أو الى الغائها دفعة واحدة . فبدلا من امتحانات القبول يقضى الطالب مدة تحت الاختبار ، وبدلا من عمل امتحانات للنقل وامتحانات نهائية يكتفى فى ذلك برأى هيئة المدرسين وتقديرها لأعمال الطالب ولم تعد الآن فى كثير من مدن سويسره امتحانات سنوية لتلاميذ المدارس الأولية . أما

الامتحان الذى يوازى امتحان البكالوريا فلا يزال معمولا به فى المدارس الثانوية ، على أن العمل المدرسى أصبح له فى نجاح الطالب أو رسوبه أثر أكبر مما لنتائج الامتحانات الشفهية والتحريرية ، لانا أصبحنا نرى أن هذه الامتحانات تترك الباب مفتوحا لعوامل المصادفات والحظ .

ولقد نجحت الحركة التى قامت فى ألمانيا لتغيير امتحان البكالوريا كل النجاح بعد أن نشر المأسوف عليه الدكتور بكر وزير المعارف فى بروسيا (ويجدر بى أن أذكر أنه حجة فى الثقافة الاسلامية) القواعد التى على أساسها نظمت المدارس الثانوية والعالية فى بلاده بشكل ، خير ما نقوله فيه أنه يتمشى مع مبادىء التربية الحديثة وأساليبها . فنح الشهادة البكالوريا صار فى أيدى المدارس نفسها ، تعطيها لا على أساس الامتحان ، ولا على أساس الدرجات التى يحصل عليها التلميذ وانما على أساس تصوير حالة الطالب النفسية تصويرا يبين ماله من صفات عقلية بارزة . وكان التلميذ طول مدته الدراسية يجد كل تشجيع على الاطلاع والبحث الفردى المستقل فى الموضوعات التى يراها تتفق وميوله الخاصة والتى تعين على تقوية التربية المتسقة الصحيحة . فهذه الشهادات النوعية تختلف كل الاختلاف عن كشف الدرجات الكمى المعروف . ولا يخفى على أحد أنها أكثر ملاءمة لأغراض التربية الحديثة ومراميها .

وقد أصبحت الامتحانات الآن ، بصرف النظر عن المبادىء الحديثة فى التربية ، موضعا لانتقادات معينة محدودة . فلننظر فى هذه الانتقادات من ناحيتها الفنية .

(٥)

توجه الآن انتقادات كثيرة الى نظام الامتحانات المألوفة . وهى انتقادات ليست كلها صادرة عن الطلبة الراسبين وحدهم ؟ كما أنها ليست مقصورة على وجهة نظر واحدة ، بل تناولت الامتحانات من وجهات مختلفة . ولننظر الآن أولا فيما يقال ضد فكرة الامتحانات نفسها ، ثم ضد النظم المألوفة لتقدير الدرجات وضد طريقة استخدام نتائج الامتحانات :

١ — سأقتصر فيما يختص بفكرة الامتحانات على بضع كلمات معروفة لكم وليس فيها أى تدليل فنى خاص . ليس من الانصاف فى شىء أن نحكم على قدرة انسان ما ، أو على علمه

أو ومهارته من نتيجة إجابته عن سؤال واحد أو بضع أسئلة توجه اليه . ومعلوم أن للحظ دخلا فى الامتحانات — والحظ نقيض كل تقدير صحيح — فان عوامل كثيرة عرضية كالمرض والتعب وحرارة الجو والخوف الطارئ، قد تفسد على المرء أثناء الامتحان عمله وانتاجه من غير أن تضعف قدرته العقلية ضعفا دائما ، وعلى ذلك تكون نتائج الامتحانات مضللة ، وانها ليؤسف لها فى الواقع من أية وجهة نظرنا اليها .

فمن الوجهة الجسمية . تؤدى الجهود التى يبذلها الطالب فى الاستظهار والتحصيل قبل الامتحان الى ارهاقه واتلاف أعصابه . وليس من المبالغة فى شىء أن نقول أن كثيرين من الشبان فى بعض البلاد قد أضروا بجهازهم العصبى ضررا بليغا أثناء دراستهم فى الكليات المختلفة حتى أن نجاحهم فى الامتحان ليتركهم عاجزين كل العجز عن القيام بأى عمل قيم فى حياتهم فيما بعد .

ومن الوجهة الخلقية : لا نستطيع بحال من الأحوال أن نغض النظر عن مساوىء نظام من شأنه أن يحرض باستمرار على الغش وعدم الأمانة . فمن دعوات المسيحيين لربهم أن يقيهم شر المحنة . ونظام الامتحانات عندنا يحرم الأطفال الاستفادة من هذه الدعوة . فلا العقاب ولا النصح ، ولا القسم بالشرف يعين أبناءنا على الاستمساك بالأمانة والصدق مثلما يعينهم عليه الغاء بعض الامتحانات والقضاء عليها . إن المنافسة التى تستثيرها الامتحانات فى نفوس الطلاب قد تبدو لأول وهلة شيئا مستحبا ولكنا سوف نبين فى حديثنا الأخير الخطر الكامن فى أكثر الامتحانات شيوعا وأسهلها استعمالا ذلك — الخطر الذى يهدد قيام المثل الأعلى الصحيح فى التربية .

٢ — تقدر نتائج أكثر الامتحانات بدرجات كمية فيستعمل لذلك مقياس محصور بين الصفر وبين النهاية العظمى . وعلى الممتحن أن يحدد على هذا المقياس الرقم الذى يراه يمثل قيمة عمل الطالب بذلك ندعى نحن أننا نقيس عمل هذا الطالب ونقدره قدره الصحيح بشكل موضوعى فى حين أن الخبرة الطويلة التى تؤيدها التجارب المنظمة تدل على أن ذلك كله ليس بصحيح . فكل مقياس موضوعى — كالذى نقرؤه على المتر أو على أى أداة أخرى للقياس أو الوزن عندما نقصد تعيين طول شىء أو زنته يمتاز بالحقيقة الآتية : إن نتيجة القياس أو الوزن تكون واحدة ثابتة لا تتغير فى كل الظروف وفى كل مرة يقوم فيها الباحث نفسه بالقياس أو الوزن أو يقوم به غيره من أمثاله المدربين.

ولكن الأمر ليس كذلك فى تقدير درجات الامتحان . فى بحث عمل حديثا فى فرنسا أعطى أثنان من أعضاء الامتحان الاكفاء لورقة معينة درجتين مختلفتين كل الاختلاف . فقد أعطاها أحدهما ١٨ درجة من مائة وأعطاها الآخر ٨٠ درجة . فالأداة التى تنشأ عنها نتائج تتباين الى هذا الحد ليست أداة صالحة .

وليس الممتحنون وحدهم هم الذين يقع عليهم اللوم . فقد يكونون من ذوى الضمائر الحية ومن أصحاب الخبرة والدربة الطويلة ولكن العمل الذى يكلفونه هو فى نفسه عمل مستحيل . فقبل أن نستعمل مقياسا ما يجب أن نستوثق أولا من عدد الدرجات المختلفة التى يستطيع الخبير المتمرن أن يميزها فيه ، ولكننا فى الواقع لا نجشم أنفسنا مؤنة الفصل فى ذلك مقدما بأن نختار مدى المقياس الذى ننوى استخدامه فى تقدير عمل الطالب . فهل هو يجب أن يكون من ١ — ١٠٠ ؟ أو من ١ — ٢٠ ، أو من ١ — ١٠ ، أو من ١ — ٦ أو من ١ — ٤ . ومع ذلك فقد كان من أول الحقائق التى توصل اليها علم النفس الفيزيقى من سبعين سنة مضت : إن عقلنا البشرى لا يستطيع إن يميز سوى عدد معين من درجات شدة الضوء فى المدركات البصرية ، أو من الشدة أو الدرجة فى الأصوات ، أو من الثقل والوزن ، أو من درجات الحرارة أو غير ذلك . كما توصل ذلك العلم نفسه أيضا الى ايجاد رصيد معين يفصل كل درجة من درجات هذه الصفات عن الدرجة التى قبلها . وفى حين أن سلسلة المقاييس السكمية التى تستعمل فى تقدير المنبهات المادية لاحساس معين كشدة الضوء مثلا تكون مستمرة موصولة فالتقديرات النوعية للاحساسات المقابلة لها ليست كذلك ، بل ان قدرتنا على التمييز بينها محدودة كل الحد بما لجهازنا العصبى من قدرة واستعداد .

وما كان صحيحا فيما يتعلق باحساساتنا فهو صحيح أيضا فيما يتعلق بالتأثرات المختلفة المعقدة التى تنشأ عنها أحكامنا على الشىء بأنه قبيح أو جميل حسن أو ردىء ، إننا لانستطيع أن نقيس مقدار ما فى الخط من حسن أو ما فى موضوع انشائى أو ما فى شكل من أشكال الرسم من كمال وجمال كما نقيس حجم الصفحات المكتوب فيها أو المرسوم عليها . نعم إننا نقدر أن نميز درجات معينة من الجودة ونرتبها ترتيبا خاصا ، ولكننا إذا أردنا أن تصادف أحكامنا وتقديراتنا موافقة اجماعية عامة من الناس كلهم (وهذا هو الشرط فى كل حكم يمكن أن يعتمد عليه) كان لامناص لنا من أن

نرضى بتقدير تقريبي . فربما كانت كلمات مثل : حسن ، ردىء ، مشكوك فيه — أو حسن جداً ، حسن ، مشكوك فيه — أو ردىء ، ردىء جداً ، هي كل ما نستطيع أن نحكم به ونحن على شيء من الثقة واطمئنان النفس . ولكن أنى هذا من الكفاية ما يسد مطالب غالبية امتحاناتنا ويرضيها ؟

لقد سارت بعض الكليات عندنا في امتحاناتها على عادة قديمة نرى أن الاعتراضات عليها أقل من الاعتراضات على معظم الطرق الاحصائية الاخرى فكل امتحان كانت تقدره لجنة من المحلفين مع كل منهم كرتان واحدة بيضاء والاخرى سوداء . ويعد الطالب ناجحاً إذا كان عدد ما حصل عليه من الكرات البيضاء يزيد على ما حصل عليه من الكرات السوداء .

٣ — ومما يزيد الأمر سوءاً على سوئه الطريقة التي نتبعها في استخدام هذه الدرجات . فإنا نضيف الدرجات التي حصل عليها الطالب في كل مادة من المواد ونستخرج متوسطها الحسابي فارضين أن ذلك المتوسط يمثل القيمة الحقيقية النهائية لعمل الطالب تمثيلاً صحيحاً . فاذا كان للارقام التي نستعملها في التقدير أي معنى فإنها إنما تدل على أوصاف نسبية ، فرقم ١ يدل على المرتبة الأولى من الجودة ، ورقم ٢ يدل على المرتبة الثانية وهكذا ، أو بالعكس ، فقد يمكن أن يصطلح على أن رقم ١ أو صفر يدل على أدنى المراتب ورقم ٩ و ١٠ أو ١٠٠ يدل على أرقاها . أي أن الارقام هذه إنما تدل على الترتيب لا على الكم والمقدار . ومن المعروف أن الارقام التي تدل على ترتيب لا تجمع ولا تقسم . فالحصان الذي من المرتبة الثانية لا يساوي نصف حصان من المرتبة الاولى وإن أضفنا المرتبة الأولى في القراءة مثلاً إلى المرتبة الثانية في الخط ، والمرتبة الثالثة في الاملاء واستنتجنا من ذلك كله أن عمل التلميذ يقع في المرتبة الثانية كان ذلك استنتاجاً من السخافة بمكان . فهو خلط كبير يؤاخذ عليه تلميذ السنة الثانية الدراسية . ومع ذلك فقد كان هذا ما جرى عليه كثيرون من نظار المدارس ومن بينهم من يعدون من المهرة في علوم الرياضة . ولست أظن أنه يوجد أي وجه للدفاع عن هذه الطريقة في حساب المتوسطات والمجموعات في الدرجات المدرسية ، فما علينا بعد هذا إلا أن نهملها الاهمال كله .

وفضلاً عن ذلك فإنا لنقع في خطأ أكبر من ذلك وأشنع . إذ أنا نحسب ترتيب التلميذ على أساس مجموع هذه الاعداد التي هي نفسها تدل على ترتيب . ثم نجعل لترتيب التلميذ هذا أهمية نبالغ فيها

الى حد كبير ناسين أن الفروق فى القيمة لا يمكن أن تقدر تقديرا صحيحا بواسطة ترتيب ما ، ففى قياس صفة من الصفات فى مجموعة من أشخاص غير منتقين قصدا لا نجد سوى فرق ضئيل جدا بين الأفراد القريبين من الوسط . ففى فصل به أربعون تلميذا يحتمل جدا أن يكون الفرق بين الخامس والأول أكبر بكثير من الفرق بين العاشر والثلاثين . وهذا صحيح سواء أرتبنا التلاميذ بحسب ما لديهم من الذكاء أم رتبناهم بحسب الطول أو الوزن . وإذا صرفنا النظر عما قد نرمى اليه من اختيار بعض الأفراد لأغراض خاصة فالترتيب المدرسى لا يدل بحال من الاحوال على مقدار الفروق التى بين تلميذ وآخر . والواجب إذن العدول عن عمل هذا الترتيب عدولا تاما فالمتوسط الذى يبنى عليه عادة غير صحيح .

واذا كان للامتحانات والدرجات من العيوب والمضار ما رأينا فأى علاج أو بديل لهما يمكن أن نقترحه ليحل محلها ؟

أولا — لعلاج تقدير الدرجات المبنى على اختبار واحد فقط ، مما يجعله معرضا لظروف الحظ والمصادفة ، يجب أن نبنى ونقيم حكمنا وتقديرنا على عدة أعمال لا على عمل واحد . ويجب أن نذكر أنه إذا كانت هناك عوامل خارجية تقلل من قدرة التلميذ أثناء إجابته فى الامتحان فمن النادر أن يوجد حادث عارض يرفع من قيمة عمله فى الامتحان الى حد غير معقول فاذا صرفنا النظر عن الغش ، وجب أن نأخذ بأفضل عمل يعمله التلميذ وأحسنه (لا متوسط العمل الذى لا يدل على شىء) ونجعله أساسا لتقدير قدرته .

ثانيا — بما أن التقديرات النوعية — أى التى تعنى بذكر نوع العمل من حيث الجودة والرداءة تكون أقرب من غيرها تمثيلا للواقع فهى إذن أقل تضليلا من التقديرات الأخرى المبنية على درجات عديدة . وفضلا عن ذلك فلها ميزة أخرى فهى تضطر المدرس الى تحليل الأثر الذى يتركه التلميذ فى نفسه ليتعرف الصالح والسىء فى عمله المدرسى الذى هو بصدد تقديره . وإن التلاميذ أنفسهم كثيرا ما يضللهم الترتيب العددى ، فلنعطهم إذن تقديرات نوعية لأعمالهم لا مجرد درجات فقط . واذا كان نظام المدرسة يستلزم درجات وأرقاما فخير لنا أن نستوثق أولا من موضوعية المقياس الذى نستعمله بأن « نقنن » درجاتنا . ونجعل لها معيارا خاصا ثابتا وتربط كلا منها بدرجة معينة محدودة

من درجات العمل . وانه لمن الأمور المستحسنة أن يحاول المدرس إيجاد معيار أو مقياس خاص لموضوعات الانشاء مثلا يمكنه أن يضاهى فى أية لحظة إنشاء الموضوع الذى يراد تقدير درجاته بالموضوعات الاخرى التى سبق ان تحددت درجاتها بحسب هذا المعيار فذلك يقلل كثيرا من المضار التى تنشأ عما قد يلحق المدرس من تعب أو من حالته الوجدانية الوقتية .

أما العلاج الصحيح الذى أراه فهو احلال الاختبارات أو المقاييس الدراسيه محل التقديرات الذاتية . إن مجال الحديث هنا لايتسع لأن اخبركم عن الحركة الكبرى فى المقاييس المدرسية التى نشأت عن أعمال الفرد بينيه العالم الفرنسى والتى اتسعت وترقت على يد ثورنديك وتلاميذه فى الولايات المتحدة وعلى يد سيريل برت وبالارد فى بلاد الانجليز . وعلى ذلك فأقتصر هنا على نظام واحد من نظم تقدير الدرجات رأيته فى مدرسة بمدينة برشلونة وقد وصف المقياس ناظر المدرسة السنيور الكسندر جالى بالتفصيل وبشكل رائع فى كتاب له باللغة القطالونية اسمه قياس العمل الدراسى .

تقوم طريقة جالى على أساس تقدير نسبة ذكاء التلميذ « عمر التلميذ العقلى كما بينه مقياس بينيه سيمون مقسوما على عمره الزمنى » ولكن نسبة الذكاء هذه يتممها مايسمى نسبة الانتاج « عمر التلميذ الدراسى مقيسا بأعماله المدرسية ومقسوما على عمره العقلى » .

ولكن ما المقصود بالعمر الدراسى هذا ؟ إنه أمر بسيط معروف كل المعرفة لجميع المدرسين قد أحكم كل الاحكام حتى أصبح استخدامه فى القياس الموضوعى الدقيق ممكنا . من المعلوم أن الأطفال يختلفون من حيث الذكاء ، ولكننا اذا اعتبرنا « الطفل العادى » الذى تبلغ نسبة ذكائه حول مائة ، فليس من العسير أن نتوصل الى طريقة موضوعية تبين لنا سير التلميذ وتقدمه فى المدرسة من سنة الى اخرى فى أنواع المهارة الضرورية التى تعد الجزء الاساسى فى منهاج المدارس الأولية . فمن المعروف لنا فى جنيف مثلا أن الولد العادى الذى يبلغ من العمر ثمانى سنوات يطالع بسرعة ٦٥ كلمة فى الدقيقة « هذا الرقم هو الرقم الاوسط . رقم الطفل الذى يأتى فى منتصف الطريق بين أسرع الاطفال قراءة وبين أبطئهم فيها » والطفل الذى يبلغ من العمر تسع سنين يطالع ٨٥ كلمة فى الدقيقة الواحدة فى حين أن التلميذ الذى عمره عشر سنين يطالع بسرعة ١١٣ كلمة وهكذا .

فهذه الزيادة تمثل ترقى المهارة التى اكتسبها التلميذ تدريجيا .

كذلك الحال فى الهجاء ، فانا نستطيع أن نحسب اسكل سن النسبة المئوية الوسطى للأغلاط التى يقع فيها عندما يكتب من تلقاء نفسه موضوعا انشائيا يعرف مادته تمام المعرفة ويكون مهتما به كل الاهتمام .

وكذلك الحال فى الحساب أيضا فيمكننا أن نعتبر عدد المسائل التى يحلها التلميذ حلا صحيحا فى وقت المعين . وهكذا .

وقد تمكن جالى من ايجاد المعايير (الدرجات الوسطى) للتلميذ العادى فى كل سن لعدة مواد دراسية حتى انه يستطيع الآن أن يعرف فى خطة واحدة مرتبة عمل التلميذ من هذا المقياس المبنى على الاعمار الدراسية . وتتخذ الوثائق المدرسية التى رأيتها مستعملة فى هذه المدرسة بواسطة المدرسين العاديين لا بواسطة سيكولوجى خاص الشكل الآتى :



فالخطوط الرأسية السميكة تمثل مدى التحصيل الدراسى الذى يتناسب مع عمر التلميذ العقلى والخطوط الخفيفة الموازية لها تبين شهورا دراسية زادها التلميذ على المستوى العادى أو نقصها عنه .

وهكذا يتمكن التلميذ أو الوالد أو المدرس من أن يرى بنظرة واحدة فى أى النواحى يكون الطفل ضعيفا وفى أى النواحى يكون بارعا . فمن الشكل السابق نفهم أن التلميذ فى ثلث السنة الاولى متأخر عن المستوى الموافق لعمره العقلى بشهر واحد فى القراءة وبخمسة شهور فى الكتابة وبثلاثة أشهر فى الهجاء وبشهرين فى الحساب . وفى ثلث السنة أصبح فى المستوى اللائق بعمره العقلى فى القراءة والهجاء ومتأخرا عنه بشهرين فى الكتابة وبشهر واحد فى الحساب . وفى الثلث الاخير صار متقدما بشهرين فى القراءة وبشهر واحد فى كل من الهجاء والحساب وفى المستوى الملائم لعمره

العقلي تماما في الكتابة

أن هذه الطريقة تستلزم تحليلا دقيقا لمنهج الدراسة والتحصيل العقلي لكل تلميذ في الفصول المختلفة. ولقد سبق أن أشرنا الى تحليل كهذا يتخذ اساسا في طريقة ونتكا، وفي طريقة دالتون. على أنه ليس في هذا النظام ما يستلزم قصر استعماله على المدارس التي تسير على مبادىء التربية الحديثة دون المدارس الاخرى.

وسنعود في محاضرتنا الأخيرة الى هذه المبادئ لكي نبين كيف أنها تمس الاصول والقواعد التي نبحث في ضوئها مشكلة الامتحانات ويسرني ان أعلم من بعض الذين سمعوا محاضراتي أن معايب الامتحانات ومضارها قد عولجت في بعض المدارس العالية في مصر باتخاذ مقياس (ا ب ح د هـ) مثلا بدلا من الارقام المستعملة في المدارس الاخرى، وبعدم الاكتفاء بورقة واحدة في الموضوع الواحد بل وضعت في امتحاناتها عدة أوراق، وأيضا بعمل اختبارات مقننة للمطالعة الصامتة في تقدير عمل الطالب في القدرات.

* * *

لقد تحدثت اليكم عن الأبحاث القائمة الآن في موضوع الامتحانات في مختلف البلاد واذا سمحتم ذكرت لكم شيئا أكثر عنها في سويسرة، لاسيما وان ما سأعرضه عليكم من المعلومات التي لم تنشر من قبل يمهد لى السبيل للوصول الى النقطة التي أود أجعلها موضع العناية في ختام هذه المحادثات.

كان عندنا في سويسرة نظام سديد من نظم الامتحانات لبثنا نعمل به نحو ٤٠ سنة من سنة ١٨٩٥ لغاية ١٩١٤، وهو نظام فريد في بابه يحتوى تاريخه على عبرة نافعة. فقد كان يعقد لكل الجنود المقترعين في المواد الدراسية امتحان خاص وإذ كانت الخدمة العسكرية في سويسرة إجبارية كان معنى ذلك أن يمتحن في كل خريف جميع الشبان الذين بلغوا التاسعة عشر من عمرهم لتعرف مدى قدرتهم في القراءة والكتابة والحساب ومقدار ما حصلوه من المعلومات الوطنية. والمقصود بهذه المعلومات جغرافية بلادهم وتاريخها ونظمها السياسية. وقد عمل هذا الامتحان بناء على طلب

المشرفين على ترقية تعليم الشعب كما كان لاتحاد المدرسين يد كبيرة فى إنشائه .

إن سويسرة كما تعرفون دولة تشكون على صغرها من عناصر شتى ، فأهلها يتكلمون أربع لغات مختلفة ويدينون بمذهبين مختلفين من المذاهب المسيحية ، وفيها أقاليم جبلية تختلف الحياة فيها عنها فى السهول ، وفيها مدن وفيها بلاد ريفية . وكان مستوى التعليم فى كل جزء من أجزاء سويسرة مختلفا عن الآخر ولقد رؤى أن نشر الحقائق المختصة بحال التعليم فى كل جزء منها يكون له الاثر فى تنبيه الجهات المتأخرة ودفعها إلى العمل على الرقى والتقدم . وكان كثيرون من الناس يرون أن اختبار التلاميذ فى المعلومات المدرسية التى حصلوها ، مع الزيارات الصحية التى يقوم بها ضباط القرعة يكونان معا وسيلة صالحة لتعرف مدى ما للمدارس الأولية فى الجهات المختلفة من أثر فى التعليم — فى تعليم البنين من السكان على الاقل . وفعلا انشىء هـذا الامتحان وعمل الترتيب اللازم له بكل عناية ودقة فوضع القائمون بأمره مقياسا خاصا يصح أن يعد الآن من بين المقاييس الأولى التى ظهرت فى تاريخ المقاييس الدراسية وكان هذا المقياس يتكون من اربع طبقات أو مستويات اختيرت الاعداد الرومانية للدلالة عليها ولذا كانت النتيجة إنما تدل على درجات من الجودة لا يجوز جمعها بعضها وبعض . وقد عينت هيئة خاصة من الممتحنين كانت قبل موعد التجنيد السنوى تعقد عدة جلسات تبحث فيها بكل دقة وعناية النظام الذى يجب أن يتبع عند تقدير الدرجات حتى يكون هناك إجماع ظاهر على الدرجات التى تعطى . والواقع أنه لم يكن ثمت مجال كبير من الوجهة الفنية لنقد هـذا النظام من الامتحان .

وكان مكتب الاحصاء السويسرى يقوم بنشر النتائج كل سنة على الجمهور . ومع هذا كله فقد وقع القائمون بالامتحان فى الخطأ على الرغم من وجود الأعداد الرومانية فجمعوا الطبقات التى حصل عليها الطالب فى عمله وحسبوا منها متوسطا ، ثم رتبوا الأقاليم والمقاطعات بحسب هذا المتوسط . ولكن مكتب الاحصاء قد أدرك الخطأ الذى وقع فيه الممتحنون وتنبه إلى ما ينجم عنه من أخطار فقام بوضع نظام آخر جديد فوضع فى « قائمة » خاصة كل الشبان الذين حصلوا فى الامتحان على أردأ « الطبقات » فى أكثر من مادة من المواد الاربع معتبراً إياهم فى درجة « ردىء جدا » أو « جهلاء » ووضع فى « قائمة » أخرى جميع الشبان الذين حصلوا على الطبقة الأولى فى أكثر من مادتين دراسيتين

معتبرا إياهم في درجة حسن جدا .

ولقد أثار هذا الامتحان اهتماما عاما في طول البلاد وعرضها ولا سيما في الدوائر التعليمية فكان الناس يتناقشون فيه بكل حماسة ونشاط . والحق أنه كانت له فائدة كبيرة فقد نبه الناس ، وحملهم على العمل لتحسين الأحوال المدرسية ، وعلى العناية بالتفتيش الدقيق على الدراسة وعلى الاهتمام بتواظب التلاميذ عليها . كما جعلهم يهتمون بفتح المدارس التكميلية والفصول الاضافية . ومن جراء هذا كله انخفضت النسبة المئوية للشبان الحاصلين على درجة ردىء جدا في مدى عشر سنوات من ٢٧ في المائة إلى ٥ في المائة في حين أن نسبة الحاصلين على درجة حسن جدا قد ارتفعت من ١٧ في المائة إلى ٤٠ في المائة ومع ذلك كله فقد ألغى هـذا الامتحان في بداية الحرب العظمى ومن هذا الوقت إلى الآن لم يعقد ولن يعقد في سويسرة مرة أخرى . وذلك لانه في مـدة وجوده قد أثار معارضة قوية من الدوائر نفسها التي كانت مؤيدة له من قبل كل التأييد ، كما لقي معارضة من المدرسين المستنيرين ومن نظار المدارس أنفسهم . فيكفي حدوث ذلك التغيير كلأخذ الطريقة المألوفة في حسبان المتوسط وفي عمل الترتيب والاسراف في الاهتمام به قد تسرب من جديد الى النتائج وجردها ما كان لها من قيمة علمية وذلك على الرغم من تحذير مكتب الاحصاء وتنبيهه . ولكن السبب الرئيسي في أثارة المعارضة لهذا الامتحان أنه كان يعد العقبة الكبرى في سبيل ترقية المدارس التكميلية وتربية المراهقين . نعم أنه قد فتحت مدارس تكميلية في كل مكان ولكن التعليم فيها كان غير ملائم لحاجات الاولاد الذين يعدون للاشتغال بالحياة الاقتصادية زراعية كانت أو صناعية أو تجارية . فاقتصار امتحان المقترعين على المواد الأولية الاربعة كان أشبه بكابوس جاثم على كل المدرسين الذين أصبحوا يشعرون أن واجبهم الوحيد أن يحصلوا على طبقات أولى لتلاميذهم وبذلك لم يعد لديهم من الوقت في جداول الدراسة ما يتسع لشيء سوى المراجعة والتكرار فلا عجب إذا قوبل إلغاء هذا الامتحان بالسرور من كل المدرسين .

في هذا درس وعبرة . وإنا لنعرف ذلك على خير وجه إذا ما رجعنا إلى ما ذكرته من بضعة أيام مضت عندما كنت أتكلم في الغرض المزدوج لكل منهاج دراسي . ففي كل قطر ، كلما أشاد مصلح من مصلحي التربية بالانواع النشاط التلقائي (التي يقبل عليها الطفل كل الاقبال لملاءمتها

لميوله الخاصة) من أثر فى توسيع أفقه العقلى قام اعتراض معين تكاد تكون صبغته واحدة، وهو: « على الرغم من هذا كله ، توجد أشياء ضرورية يجب على كل طفل أن يلم بها . فكيف تعمل المدرسة الحديثة على تعليم الاطفال الهجاء وجدول الضرب ؟ »

والآن فلنواجه هذا الاعتراض لنرى كيف نجيب عليه . لقد قوبل من قبل بمثل هذا الاعتراض كارلتون واشبورن مدير التعليم فى وينتكا — وهى بلدة صغيرة جميلة على مقربة من شيكاغو ، فكان جوابه بسيطا جدا — قال : نعم توجد أشياء لا بد لكل طفل من الالمام بها . حسنا : فلتجشموا أنفسكم مؤونة عمل قائمة بهذه الاشياء حتى اذا ما عرفت على وجه التحديد ماذا تقصدون بها أمكنني أن آخذ على نفسى أن أعلمها تلاميذى بأنسب الطرق وخير الوسائل على شريطة أنكم اذا ما اقتنعتم بأن التلاميذ قد حصلوا على هذا الذى ترونه ضروريا ولا بد منه تركتمونى حرا فى أن أستعمل ما بقى من وقتهم ووقتى كما أحب وأشتهى .

وبعبارة أخرى يحسن بنا أن نميز فى المنهاج بين أمرين ونبحث كلا منهما على حدة . أولا ما يسميه واشبورن بالحد الادنى للمعلومات الضرورية (وكان مدرسو جيمس بكلسون عن المنهاج الادنى — قالوا ذلك مستقلين عن واشبورن ومن قبل أن يعرفوا عنه شيئا) وثانيا : شىء آخر فى مستوى ذلك أو فوقه . وهو فى نظر البعض لا يقل أهمية عن الضروريات . وهذا ما نسميه نحن فى جنيف بمنهاج الترقية . أى يجب علينا أن نميز فى المنهاج بين (١) الحد الادنى للمعلومات الضرورية . (٢) وبين النشاط الذى يقصد منه قبل كل شىء تنمية قوى التلميذ وميوله . وهذا التمييز فى المنهاج يتمشى مع الاعتراف بوجود غرضين مختلفين فى التربية لا يقل أحدهما قيمة عن الآخر . ومادمنا حريصين على أن لا نهمل أحدهما وجب أن يكون لهذا الاعتراف أثره فى جدول الدراسة .

ففى احدى مقاطعات سويسرا تسمح المدارس الاولية لكل فصل بعدد معين من الساعات يسميها الساعات الحرة يكون المدرس حرا كل الحرية فى استعمالها فيما يراه مؤديا الى ترقية تلاميذه وتوسيع أذهانهم . أما ساعات الاسبوع الباقية فلها منهاج محدود وتستعمل فى تعليم التلاميذ اجزاء معينة من العلوم أو فى تدريبهم على كسب مهارات معينة فى حين أن الساعات الحرة قد تستعمل فى الرحلات وفى فلاحة البساتين وفى القاء المحاضرات أو فى مطالعة موضوعات خاصة يهتم بها المدرس

والتلاميذ اهتماما كبيرا . فليس المقصود بهذه الساعات أن يلقن فيها التلاميذ العلم ويحشر فى أذهانهم حشراً . وانما الغرض منها توسيع أفقهم العقلى .

ويتوسع واشبورن فى نظام وينتكا توسعا أكبر فى هذه الساعات . فقد حرص واشبورن على عمل بيان بالحد الادنى للمعلومات التى يجب أن يحصل عليها كل تلميذ . وبما أن قدرة الفرد على التحصيل تختلف اختلافا كبيرا عن قدرة جاره فقد ألقى مسئولية تحصيل هــذا الحد الادنى من المعلومات على التلميـذ وحده فيحصله بنفسه وبجهوده الشخصية من غير أن يكون هناك أى تعليم جمعى . فكان يعين لكل تلميذ منهاجا (أشبه بما فى طريقة دالتون) بما يجب عليه أن يحصله ، كما يعطيه عددا من التمرينات التى تساعده على ذلك التحصيل ، ثم يختبره فيه فيما بعد ، فالتلميذ يشتغل بمفرده فى الالفاظ التى عليه أن يعرف هجاءها أو فى المسائل التى يجب عليه أن يحلها ، كلما رأى نفسه قادرا على أن يقوم بمثل هذه الأعمال على وجهها الصحيح ، وهو بعد ذلك يختبر نفسه بنفسه بواسطة أحد الاختبارات الخاصه بذلك .

وهكذا يكون كل تلميذ مهتما كل الاهتمام بتقدمه ونجاحه فيما هو بصدده .

وقد وجد واشبورن أن التلميذ يستغرق بهذه الطريقة نصف الوقت الذى يلزم عادة التلميـذ فى المدارس العادية لأن يلم بالمقرر عليه . فهذا كما ترون يوفر نصف الوقت الدراسى المقرر فى الجدول ليتسنى استعماله فيما أسميناه « منهاج الترقى » ويعرف هذا الجزء من العمل المدرسى فى نظام وينتكا باسم أنواع النشاط الاجتماعى . ففى حين أن الحد الادنى للمعلومات يكتسب بالعمل الفردى فانواع النشاط التى ترمى الى ترقية الطفل اتماهى تعبيرات اجتماعية هى مشروعات يكون الفصل مهتما بها كتمثيل رواية أو اخراج صحيفة مدرسية . ولما زرت وينتكا وجدت تلاميذ أحد الفصول منهمكين فى تمثيل قطعة من الحياة الهولندية فأنشأوا طواحين هوائية وقنوات ماؤها متجمد يتزلق عليها أناس ألبسوا حللا غريبـة الشكل . ولم يكن شىء من هذا داخلا فى الحد الأدنى للمعلومات الضرورية ولـكن التلاميـذ كانوا يدرسون هولاندة فقاموا بعمل هـذه الاشياء كنوع من انواع النشاط الاجتماعى اهتم به الأطفال اهتماما كبيرا . ولست فى ريب من انه قد رقاهم كذلك ترقية كبيرة

انا لانستطيع ان نسير على منهاج واشبورن بأجمعه فى كل مدرسة من المدارس لان ذلك يقتضى

دراسات تمهيدية طويلة ولكن ما رأيته متبعا فى مدرسة دطران فى جنيف يمكن لأية مدرسة أن تسير عليه. فكلما أتم طفل قبل غيره حل المسائل المطلوب منه أن يحلها أو أتم الواجب الذى كلف القيام به قبل الآخرين مضى إلى منصة المدرس واختار لنفسه منها بطاقة من البطاقات الكثيرة التى أعدت من قبل محتوية على مشاكل معينة يطلب من التلميذ أن يحلها بنفسه على حدة بعد أن يكون قد قام بدراسة خريطة معينة أو بمطالعات خاصة فى التاريخ مثلا. فبذلك يجد الطفل فرصة لان يقوم بتفكير إيجابى بعد أن قام من قبل بتعلم ما لم يستدع منه سوى تشغيل ذاكرته.

إن الجزءين اللذين حرصنا على التمييز بينهما فى المنهاج الكامل يقابلهما ناحيتان من نواحى التربية الخلقية يجب على المدرسة أن تعنى بهما معا.

واسمحوا لى أن استعير للتعبير عن هاتين الناحيتين ألفاظ السياسى السويسرى المسيو ما كس هوبير فى حديثه الذى القاه على أعاد المدرسين، عما تتطلبه الدولة من المدرسة الاولية قال: — فى الديمقراطيات الحديثة تتطلب المدرسة من الدولة أن تهيىء لها المواطنين الصالحين. ولكن ما هو المواطن الصالح؟ هو أولا رجل يعتمد عليه ويوثق به، وثانيا هو رجل مبتكر

وتنوعا المواد الدراسية الآلوان فى مدارسنا كفيلان بإيجاد هذه النتيجة المزدوجة. فمن المواد كالهجاء والحساب ما يعلم الطفل أنه لا توجد سوى طريقة صحيحة واحدة لاداء بعض الاشياء. فما ليس بصحيح لا يمكن أن يكون إلا خطأ. ويجب أن يتعلم الطفل وجوب الاصطلاح بما عليه من تبعات فيتعلم كيف يتهجأ الالفاظ ويرسمها، وكيف يحل مسائلها المختلفة بنفسه بشكل يجعل المدرسة تثق بأنه أداها على الوجه الاكمل. أما فى المواد الاخرى كالتاريخ والجغرافيه والعلوم الطبيعيه فلا يتسنى الوصول الى مثل هذا الغرض. ولا يجمل بنا أن نرمى اليه فيها إذ من المستحيل أن نصل الى نهاية العلم وكماله فى مثل هذه المواد. فأكبر العلماء قدرا وأجلهم مقاما يشعر فى دراسته لاصغر حشرة موجودة بأنه لا يزال بحاجة كثيرة الى أن يتعلم ويستكشف أمورا لا تزال خافية عليه. ولكن المقصود من تدريس هذه المواد إنما هو دفع الطفل الى البحث وتشجيعه على العمل. فى هذه المواد الدراسية يجب أن نعمل دائما على تشجيع التلاميذ واستنهاض هممهم واستثارة اهتمامهم. ولنجعل نصب أعيننا ألا نقف أبدا فى سبيل طفل يريد أن يقرأ عن بلاد أجنبية، أو يعرف شيئا عن جبل

من الناس مضى ، أو أن يقوم ببعض التجارب بنفسه ، بأن نقول له ان هذه الاشياء التى يريد القيام بها ليست فى منهاج السنة الدراسية التى هو فيها . فالابتكار ، سواء أكان فرديا أم اجتماعيا هو مايرمى هذه المواد الى تعليمه التلاميذ وتدريبهم عليه .

إذا كان هـذا كذلك تبين لنا أن منهاجنـا المزدوج يقتضى من المدرسين موقفين متباينين : ويستدعى منهم اتباع طريقتين مختلفتين فى التعليم . فالامور المحدودة كتعليم هجاء الالفاظ وتدريس جدول الضرب أو عواصم أوربا أو التواريخ الهامة لايتسنى تعليمها الا بواسطة التكرار المستمر متى كان التلميـذ مهتما كل الاهتمام بتثبيتها فى نفسه وارساخها فى ذاكرته . كذلك لاتوجـد مهارة ماجسمية أو عقلية (كتمرين صعب من تمارين الالعاب الرياضية أو كتابة خط جميل أو استخراج الجذر التربيعى لعـدد ما بسرعة) ؛ يمكن لامرىء ان يكتسبها من غير أن يقوم بمقـدار عظيم من التمرن والتـدرب عليها . ففيما يتعلق بكسب المعرفة أو المهارة لايعد المدرس صالحا ولايعتبر قديرا ماهرا الا اذا عنى بتدريب تلاميذه وتمرينهم باستمرار . وقبلا ذكرت لـكم أن التدريب فى التربيـة لايستلزم أبدا ضرورة أن يكون جافا مملا . فمن الميسور أن يربط الشىء الذى نريدأن تدرب التلاميذ عليه بميل من ميول الطفل أو شىء مما يهتم به اهتماما خاصا ، أو ادماجه فى اللعب وربطه به ربطا وثيقا .

أما فيما يتعلق بجزء « الترقيـة » من المنهاج ومايتصل باستثارة ميول الطفل واهتمامه مما يوسع أفقه العقلى ويزيد فى ثقافته فلا مجال للـكلام عن التدريب والتـكرار . فلقد تمرن التلميذ على « نحو » اللغة اللاتينية من غير أن نولد فيه أى اهتمام وعناية بالنحو هذا ، بل ان التدريب هنا ليحدث عكس النتيجة المطلوبة فقد يستظهر الفتى الصيغ النحوية ويعرفها معرفة تامة ولـكن نفسه مع ذلك لاتهفو فى يوم من الايام الى فتح كتاب لاتينى خارج المدرسة .

فكيف اذن يستطيع المدرس ان يحرك اهتمام التلاميـذ ويبعث فيهم الشوق والاقبال ؟ لطالما بحثت أنا عن جواب لهذا السؤال فلم أعثر على شىء افضل من كلمة « العدوى » فلن يستطيع مدرس ان يجعل تلاميـذه مهتمين بموضوع ما اهتماما عميقا يصبح فيما بعد عاملا فى ترقيهم العقلى الا اذا كان هو نفسه مهتما كل الاهتمام بهـــذا الموضوع ومتحمسا له . فالمدرس العالم هو وحده القادر

على تزويد ســواه بالعلم ، والمرء المثقف وحده هو الذي يستطيع ان يبث الثقافة في نفوس ســواه ويوحي اليه بالاهتمام بها (والثقافة كما أشرنا من قبل كلمة تطلق على العقل اليقظ المشبع بأنواع الاهتمام الحي والميول الناشطة) .

لهذا أهمية كبرى ، وبخاصة عندما نبدأ في تدوين مناهجنا على الورق . فيجب أن نعين الحدود الصغرى للمعلومات الضرورية بتفصيل واف . ولقد سبقنا وشبوون وفتح لنا الباب فما علينا إلا أن نلجه ونسير وراءه . وينبغي أن نكون في البداية على بينة من كل ما نريد أطفالنا أن يتعلموه حتى نستوثق من أنهم فعلا سيتعلمونه .

أما منهاج الترقية فلا يمكن أن يدون بتفصيل واف مثل منهاج الحد الأدنى للضروريات . فليس بنا ثمة حاجة الى عمل سجل موسوعي يحيط بكل بلاد العالم أو بكل حوادث التاريخ أو بكل نبات أو حيوان في هذه الدنيا حتى نحمل الطفل معها الاهتمام الكافي بدروس التاريخ أو النبات أو الحيوان .

بل ان موضوعا واحدا من هذه الموضوعات اذا درس بعناية ، وحرص ، مع تحمس واهتمام أفادنا في الوصول الى الغرض الذي نرمي اليه ، مثله مثل دراسة موضوعات مختلفة . فليست العبرة بالكثرة والعدد وانما العبرة بالاتقان والاحكام . وهذا عينه هو ما يجب أن نتخذه شعارا لنا كلما أردنا أن نستثير شوقا أو نخلق في التلاميذ ميلا جديدا .

ولكن يجب علينا أن نعرف أولا ونحدد تمام التحديد ما نرمي اليه . فكم من مرة صادفت مدرسا قد أعد درسه ليلقيه على فصل من فصول المدرسة : كقطعة مختارة من الشعر أو غرر النثر ليشرحها ويبين مافيها من روعة وجمال ، ومع ذلك اذا ماسئل هذا المدرس عن الباعث الذي جعله يختار هذه القطعة المعينة من الادب بهت او اجتزأ بأن يقول انها من المقرر . فمثل هــذا المدرس لم يجعل لجهوده غرضا ولا لعمله غاية .

فما الذي ننتظره من وراء تدريس التاريخ مثلا ؟ إنا ننتظر الشيء الكثير . فضلا عن الالمام بالحقائق التاريخية نفسها ، ننتظر اشعال روح الوطنية ، وبث الاخلاص للوطن والعمل على ما فيه مصلحته واسعاده ، ننتظر نفاذ البصيرة الى العلل التي تربط الأحداث الاجتماعية بعضها ببعض ،

والميل المعقول الى تعرف حياة الشعوب التى تباين شعبنا كل المباينة ، والاعتراف بدوام الشهوات والمطامع الانسانية ، وننتظر معرفة طرق البحث والتنقيب فى الوثائق والمصادر التاريخية وكيفية الاستفادة منها ، وايجاد عقلية يقظة ناقدة ، لا تتقبل أول شىء تقرؤه على أنه حقيقة مفروغ منها .

نعم من المحتمل أن نصل الى بعض هذه الامور دون بعضها بحسب سن الطفل ومرحلة نموه ، فلنحسب لهذا حسابه . ولكن متى استبان لنا المقصود من تدريس التاريخ واتضحت لنا الغاية منه وجب علينا أن نعمل على تحقيق أغراضنا متحمسين كل التحمس للميول ذاتها التى نسعى لايقاظها واستثارتها فى نفوس تلاميذنا .

وأخيرا نعد الى مشكلة الامتحانات . متى ثبت لنا ضرورة وجود منهاجين لهما غايتان متباينتان وطريقتان مختلفتان للوصول الى هاتين الغايتين اتضح لنا ضرورة وجود نوعين أو نظامين مختلفين من نظم الامتحانات . لقد كان امتحان المقترعين السويسرى ناجحا كل النجوع ومؤديا الى غرض اختبار الطلاب فى مواد الحد الادنى للمعلومات الضرورية ، ولكنه كان فى الوقت نفسه قاتلا لمنهاج الترقية وقاضيا عليه . وإذا كان هذا المنهاج الاخير بعد الان بعد أن تقدمت فكرة التربية الحديثة الجزء اللازم الذى لا يمكن الاستغناء عنه فى الفصول التكميلية ، فقد أصبح امتحان المقترعين هذا مقضيا عليه بالزوال .

أما الفكرة الرائعة التى قال بها المسيو جالى فيجب أن نأخذها من حيث هى مقياس لتقدم الطفل فى تحصيل المعلومات وفى كسب المهارة ، لا من حيث هى مقياس لترقيه فى الثقافة فذلك لم يقصد بها .

لكن ترق جديد فى نظريات التربية شكل جديد من أشكال الامتحانات يتفق مع أغراضها وغاياتها . وسوف تستحدث الغايات الجديدة التى ترمى اليها التربية الحديثة طريقة جديدة لتقدير نتائج عمل المدرس وثمرات نشاطه ولكنا مازلنا الى الان وسط هذا الفصل من التاريخ لم نبلغ غايته بعد ولم نحصل على الحل السديد الناجع لمشكلة الامتحانات الجديدة التى نواجهها اليوم .

وانى لارجوا من حضرات السامعين اليوم ، ولا سيما حضرات مفتشى المدارس منهم أن يعاونونا بما لديهم من خبرة ومرانة . ولقد سبق لى أن وجهت مثل هذا الرجاء من قبل الى سامعين

آخرين . فالمشكلة التى نحن بصددها مشكلة حيوية . فكيف يتسنى لنا أن نحكم ان كانت الدراسة هى التى ساعدت الطفل على ترقيه وتنمية استعداداته ؟ لا يمكن أن يكون ذلك بالرجوع الى ما يكون الطفل قد حصلهمن معلومات معينة. والا لعدنا من جديد الى المناهج الاخرو الى الامتحانات القديمة المألوفة . ولكن لابد من أن تكون هناك طريقة تمكننا من أن نصدر مثل هـذا الحكم . والواقع اننا كلنا نفعل ذلك أحياناً فنقول أن فصلا معينا من التلاميذ مهتم بعمله ومقبل عليه كل الاقبال . نقول ذلك بناء على ما نراه من ضـوء لامع فى عيون التلاميـذ وبما نسمعه من الاسئلة التى يلقونها علينا أنفسهم . وانا لنحكم بان هذه الميول ستكون باقية دائمة بما يتجلى فى الاطفال من أنواع النشاط اذا ما تركوا وحدهم ، وبما يستثير استطلاعهم ويحفزهم الى البحث والتنقيب فى خارج المدرسة . ولا شك فى أن مفتشى المدارس المتنبهين الى هذه المشكلة يجب أن يكونوا قادرين على ايجاد نظام خاص يمكنهم من أن يقرروا – بطريقـة موضوعية – ما يقفون عليه من نتائج منهاج الترقية الذى يتبع قصدا وعن عمد فى مدرسة من المدارس

والان يجب أن نعلم أن الامتحانات القديمة تتمشى مع الفكرة القديمة ، ولا تقيس الا ما يمكن أن يقال فيه أنه من ضمن الحد الادنى للمعلومات الضرورية

الاعمى

للاستاذ على الجارم بك

من مجيرى من حالكات الليالى ؟ نوب الدهر مالكن ومالى !
قد طوانى الظلام حتى كأنى فى دياجى الوجود طيف خيال
كل ليل له زوال وليلى دق أطنابه لغير زوال !
كل ليل له نجوم ، ولكن أين أمثالهن من أمثالى ؟
تثب الشمس فى السماء وشمسى عقلت دونها بألف عقال
لا أرى حبنا أرى غير حظى حالك اللون عابس الآمال

« ٢ »

هو جب أعيش فيه حزينا كاسف النفس دائم البلبال
ماوأت بسمة الشموس زوايا ه ولا داعبت شعاع الهلال
فاذا نمت فالظلام أمامى أو تيقظت فالسواد حيالى
أتقرى الطريق فيه بكفى بين شك وحيرة وضلال
وأحس الهواء فهو دليلى عن يمينى أسير أو عن شمالى
كلما رمت منه يوماً خلاصا عجزت حيلتى ورثت حبالى
عبثاً أرحل الأنين من الجب إلى ساكن القصور العوالى !

« ٣ »

من أنار بليلة طوفها العمر ، يجوب الأوجال للأوجال
مستريد فى هاويات وهاد لاهث فى شامخات جبال

عند صحراء للاعاصير فيها ... ضحك الجن أو نحيب السعالى
لم يزورها وشى الربيع ولكن ... لك ماشئت من نسيج الرمال
ليس للطير فوقها من مطار ... أو بنى الانس حولها من مجال
خلق الله قفرها ثم سوى ... من ثراه أنامل البخال
رهبة تملأ الجوانح رعباً ... وأديم وعر كحد النصال
وامتداد كأنه الأمل الطا ... ئش ماضاق ذرعه بمحال
سار فيها الأعمى وحيدا شريداً ... حائرا بين وقفة وارتحال
فى هجير ماخف حر لظاه ... بنسيم ، ولا ببرد ظلال
مل عكازه من الضرب فى الأ ... رض على خيبة ورقة حال
برفع الصوت لايرى من مجيب ... أقفر الكون من قلوب الرجال !

* * *

من لهاو فى لجة هى دنيا ... ه وأيام بؤسه المتوالى ؟
ظل بعضها يزاحم بعضا ... كليالى كرزن إثر ليالى
يفتح الموج ماضغيه فيهوى ... ثم يطفو محطم الاوصال
لاترى منه غير كف تنادى ... حينما عقه لسان المقال
والرياح الرياح تعصف بالمسكين ... عصف الايام بالآجال
يسمع السفن حوله ماخرات ... من يبالى بمثله من يبالى
يسمع الرقص والاهازيج تشدو ... بين وصل الهوى وهجر الدلال
شغل القوم عنه بالقصف واللهو ... وهاموا بحب بنت الدوالى
مالهم والصريع فى غمرة اللج ... يصد الأهوال بالاهوال
لايريدون أن يشاب لهم صفو ... بنوح للبؤس ، أو إعوال
هكذا تمحل القلوب ، وأنكى ... أن تباهى بذلك الامحال !

عند الطيارة التركية صبيحة هانم

وفى صباح اليوم التالى حضر الى فندق « استامبول » الاستاذ حكمت بك وصحبنى فى سيارته الى فندق « انقره » وعرفنى الى الزميلة مدام يونوى المحررة فى جريدة « الجورنال » الباريسية

وانطلقت بنا السيارة فى شوارع الضواحى وفيها الحدائق والبساتين والقرى حتى وصلنا الى احد ميادين الطيران . وقابلنا فيه الآنسة صبيحة هانم الفتاة الطيارة التركية ومتبناة الاتاتورك

وكانت على موعد مع مدام يونوى فركبت طيارة صغيرة طافت بها نحو نصف ساعة . وقيدت المدام فى كناشتها معلومات وارقاما عن حركة الطيران فى تركيا

وفى عودتنا نزلت المدام وحكمت بك الى ورشة لتصليح الطيارات فى الطريق . وبقيت فى السيارة حتى عادا

وودعت الزميلة فى فندق انقره

الجاردن سيتى ومزرعة الاتاتورك

وانزلنى حكمت بك فى قهوة كوتلو البديعة . وهى حلوانى وقهوة ومطعم معا والطعام مزيج بين الشرقى والغربى فاكلت وتناولت القهوة

ثم حضر حكمت بك وعرفنى الى الاستاذ عبد السلام البوصيرى الموظف فى وزارة الخارجية التركية . وهو من ادباء طرابلس الغرب يجيد التركية والعربية والايطالية . وبصير بالشؤون السياسية الشرقية والعربية ، اذ يراجع بحكم وظيفته الجرائد العربية الكبرى . وذكرنى بهوامش قديمة كتبتها منذ سنوات ونسيتها . وتبينت من حديثه الرجل العصرى البعيد عن الجمود والتمسك بالقديم

وزرنا بالسيارة « الجاردن سيتى » وفيها فيلات مستقلة عن بعضها مؤلفة كل منها من دورين وحديقة . وذكر لى حكمت بك انه قد بنتها شركة تعاون بمساعدة الحكومة . وقدمتها للمشتركين على ان تستهلك اثمانها اقساطا شهرية

ومررنا فى طريقنا بالبيت الذى سكنه الاتاتورك ، قبل ان يتم انشاء المدينة الجديدة

ثم دخلنا مزرعة الاتاتورك . وهى عزبة نموذجية عصرية ، تزرع فيها الخضر والفاكهة ، وتربى الدواجن من طير وغنم . ويصنع الجبن والزبدة والبيرة . وقد وهبها الزعيم للحكومة وفتح رياضها للشعب يأتونها كل يوم زرافات فيتنزهون ويجلسون فى قهواتها لتناول ما يحملونه من طعام

وتركنا الاستاذ البوصيرى بعد العودة الى المدينة

المركز العام لبيوت الشعب

وزرت والاستاذ حكمت بك المركز العام لبيوت الشعب وفيه بيت القرى وبيوت الشعب من منشآت الحكومة الجديدة اقامتها لخدمة الشباب وتنويرهم وتثقيف البابهم بالمطالعة والسينما والموسيقى ودراسة اللغات الاجنبية والرحلات وزيارة المتاحف والمعاهد العلمية

وقد عنيت بدراستها والالمام بشؤونها وكتبت عنها فصلا فى رحلتى الى تركيا ويوغوسلافيا سنة ١٩٣٣ وكتب عنها كذلك الاستاذ الدكتور احمد فريد رفاعى بك فى تقريره عن اصلاح ادارة المطبوعات ، فعلى من اراد المزيد ان يراجع هذين الفصلين

و « بيت الشعب » فى انقرة مثال للفخامة والعز والوجاهة

سراى ذات سلم من المرمر وسقوف وجدران منقوشة مزخرفة وقاعات وسيعة رحبة منها قاعة ملكية على الطراز الشرقى خاصة بالرياش والنمارق والتحف التى لا يرى منها شىء فى البيوتات الحديثة . وقاعة للمحاضرات والسينما والتمثيل واخرى للرقص والموسيقى وحفلات الزواج والمعارض ومكتبة تحتوى على ٣٠ الف مجلد مفهرسة على الطريقة العشرية . ومكاتب مجهزة بالتليفون والتابريتر وبيانات تخطيطية لحركة البيوت والاعمال التى تقوم بها

وهذا البيت مثل غيره ، مفتوح للشعب وابنائه يقصدونه كل ساعة للمطالعة والالعاب البريئة وسماع المحاضرات ومشاهدة التمثيل مجانا

ساعة فى ادارة جريدة « الوس »

ثم قصدنا ادارة جريدة « اولوس » الصحيفة التى انشأها الاتاتورك فى سيواس سنة ١٩١٩ باسم

« ارادة مليت » ثم نقلها الى انقره باسم « حاكميت ملية » ثم محميت اولوس (الشعب) وهى الآن صحيفة شبيهة بالرسمية واحد السنة حال الحزب الجمهورى

وتصدر يوميا . وكانت تصدر فى ١٢ صفحة مصورة (بحجم الاهرام) ثم اخذت تصدر فى ثمانى صفحات مراعاة لحالة الحرب

ويرئس تحريرها فالح رفق اطاى بك ، نائب انقره فى البرلمان

ومطبعتها مجهزة بكل الادوات الحديثة

ويقوم بتحريرها عشرون محررا . رافقنى احدهم وطاف بى مكاتب الادارة والتحرير . وطلب منى ابلاغ سلامه الى الزميلين الصديقين الاستاذ فؤاد صروف والاستاذ الصاوى ، وذكر لى ان « اولوس » هى الجريدة اليومية الوحيدة فى انقره . والى جانبها قليل من المجلات العلمية والادبية والتاريخية

ما ادركته وعرفته عن انقره

وكفتنى هذه الفترة لاستطلاع حال المدينة وتبين رقيها الاجتماعى . فقضيت السهرة مع اعضاء بعثتنا العسكرية

وقضيت اليوم التالى فى التجوال هنا وهناك فلاحظت قلة السيارات العامة والخاصة والاتوبيسات وقلة عدد المشاة من رجال ونساء وضؤولة النور فى الشارع الكبير الجديد

والنظافة عامة فى اقسام المدينة كلها . والاناقة ظاهرة فى اهل القسم الجديد ومتاجره وقهواته ومطاعمه على قلتها

وليس فى الحلة مجال للبحث فى نظام الحكومة ونهضتها وعملها العظيم فى ترقية الشعب وتقوية الروح المعنوية فيه

ايام فى استامبول

ودعت اعضاء بعثتنا العسكرية مساء يوم السبت ٢ سبتمبر ، على ان اقابلهم فى استامبول

وقضيت ليلتى فى القطار الفاخر ذى المقاعد المثمرة المحجوزة

ونمت ساعات وصحوت ساعات حتى لاح الفجر وأشرقت الشمس ونحن على مقربة من محطة إزميت . فتجلت الطبيعة بابهى الوانها

الوصول الى حيدر باشا

ومر القطار سريعاً بعدة محطات ووقف فى البعض وسط المروج الخضراء بين شاطىء البوسفور والجبال وقد انتثرت هنا وهناك الفيلات البديعة . ووقف فى المحطات صبايا ملاح ناضرات الطلعة ينادين باصوات عذبة ما يحملنه من سلال العنب والتفاح

وقبل الوصول الى محطة حيدر باشا بنحو نصف ساعة قفز الى القطار غلمان يحملون صحف الصباح التركية ودخلوا السكابينات وعربة الاكل ينادون صاخبين . وقد كتب على الصفحة الاولى من هذه الجرائد بحروف ضخمة : « فرنسا وانكلترا تنتظران جواب هتلر . فاما حرب . اوسلام »

وبلغنا محطة حيدر باشا فى منتصف الساعة التاسعة صباحا . فاودعت الحاجة شنطة غرفة الامانات واجتزت البوسفور الى الاستانة

اليومان الاول والثانى فى استامبول

وكان اليوم احداً . والمدينة مقفلة . فركبت قطار السركجى لمقابلة خاصة فى محطة ميشيل كوى (القرية الخضراء) وهى بلدة قروية على مثال مطرية مصر لثلاثين او اربعين سنة خلت لا تزال اغلب اراضيها خالية ويباع المتر فيها بما يساوى عشرين قرشا مصريا

وكان الغداء الهنىء مع استاذ فى الجامعة . ثم العودة الى الشاطىء الاسيوى والسهر فى كازينو « موضة » والنوم فى فندق بقاضى كوى

وعدت فى اليوم التالى الى استامبول وزرت ادارة المطبوعات فى ديوان الباب العالى

ثم قصدت قنصليتنا المصرية فى حى « تقسيم » وهو حى حديث بنهاية شارع بايوغلو الذى يسمى

الآن شارع الاستقلال

ويزدان ميدان تقسيم بتمثال الاستقلال الذى اقيم فى وسطه وحوله المطاعم والقهوات والبارات والكباريهات ودور السينما

فى القنصلية المصرية باستامبول

كانت القنصلية المصرية قبلا فى شارع الخندق (التونل) فى دار ضيقة ثم نقلت الى دار المفوضية فى قصر بيك . ولاحظ الاستاذ عامر بك قنصلنا الجنرال ان ضاحية بيك بعيدة على طلاب التاشيرات وغيرهم ، فاسكنت القنصلية فى دارها الحديثة

والاستاذ عامر بك اديب مثقف اشتغل بالمحاماة زمنا غير قصير وكتب المقالات الممتعة فى جرائد الحزب الوطنى وعلى صفحات الاهرام . ثم عين قاضيا فى المحاكم الاهلية . وكان اول قنصل لمصر فى الحجاز والعراق وايران . فعرف كيف يوثق العلاقات الادبية والاقتصادية بيننا وبين هذه البلاد . ولاسيما التمهيد للمدرسين المصريين فى القيام والتدريس فى مدارس العراق . وتسهيل مهمة بنك مصر فى اقامة منشأته بالاراضى المقدسة . وله رسالة فى الحج تدل على عمق تفكيره واصالة رأيه فى شئون الدين والدنيا

وفى القنصلية تعرفت الى الاستاذ ميشل سلامه فرج مأمور القنصلية . وخريج كلية التجارة المصرية وجامعة ليون . وقد نشأ فى السلك القنصلى . ونقل بين برن وجنوى وبيروت

وعرفت كذلك الاستاذ احمد حلمى ، كاتب ومترجم القنصلية . وقد حضر الى الاستانة مع الاستاذ عبد الحليم البيلى . وله فى استامبول الان اكثر من عشر سنوات . فاتقن اللغة التركية قراءة وكتابة . وقد التقى من ورطة اوقعنى فيها صاحب فندق « استامبول بلاس » اذ لم يؤشر على الباسبورت فى دائرة البوليس

مع الصديق القديم محمود خاطر بك

وقابلت فى القنصلية ايضا الصديق القديم الاستاذ محمود خاطر بك وابى ان يتركنى الا بعد

يريني في استامبول شيئا جديدا

فتقابلنا في قهوة فندق شاهين باشا بحي السركيجي حيث المحطة التي ينتهي اليها خط اكسبرس الشرق الآتي من لندن . وحيث القهوة العثمانية التي عرفت فيها المرحوم علي فوزي بك قبل عودته الى مصر

وبعد تناول القهوة سرت والاستاذ خاطر بك الى شارع الباب العالي المتليء بالمطاعم التركية والمكتبات وفيها بقايا من الكتب العربية والكتب التركية المطبوعة قديما بالحرف العربي

ووصلنا الى فندق « اوزبيك »

وكانت في انتظارنا حرم خاطر بك . وهي سيدة تركية مهذبة وكاتبة لبيبة . لها مقالات ادبية واجتماعية في بعض المجلات التركية ومنها مقالات وصفت فيها مأتماً مصريا كانت موضع اعجاب القراء بما فيها تعريف دقيق بلاطمات الوجوه ، وشاقات الجيوب ، ومنبلات الخدود ، وهن يشن كن مسهن جن على نقرات الدفوف

ومع انها قضت في مصر ما يزيد على خمس عشرة سنة . فلا تزال تركيتها غالبة على العربية . فرحبت واعلنت سرورها عندما عرفت انني صديق زوجها منذ ايام التلمذة وكان يقطن في الحنفي واسكن حارة السقايين

قال خاطر بك : كان الكثيرون من المصريين وغير المصريين الذين يأتون استامبول يؤلمهم الا يجدوا فيها فندقا عصريا في الحي الوطني . فسد هذه الثلمة شابان تركيان بانشاء فندق « اوزبيك » وفندق « بني ايدين » وكلاهما مبنى ومؤثث على احدث الطرق العصرية سواء في طرق الانارة والمياه الباردة والساخنة (على الدوام) في الغرف والحمامات

وجاء صاحب فندق « اوزبيك » فطاف معي المطابخ ومخازن الطعام ومخازن التبريد والتثليج والشقق الخاصة والغرف الفردية والزوجية

والاكل في هذا الفندق يطهى كله بالزبدة التي تحضر في معمل خاص صغير بالفندق

قال خاطر بك : ولا تتم هذه الزيارة بدون غدوة او عشوة ، لتذوق طعام « اوزبيك » الفريد في استامبول كلها

وخرجت وخاطر بك والسيدة حرمه فى تاكسى الى مسجد « نور عثمانيه » ومن ناحية السوق فزرنا قسم التحف القديمه من حلى وحلل وادوات طعام وقناديل من الفضة والذهب واسلحة مكفتة وغيرها . وخرجنا من السوق الى شارع محمود باشا وهو مثل الموسكى والسكة الجديدة فى مصر قديما . ولكنه يمتاز عنها بالسعة ووفرة ما يحويه من الملابس والأقمشة مما يحتاجه اهل الطبقة المتوسطة رجالا ونساء

ايام فى استامبول

زرت استامبول مرتين قبل اليوم

كانت المرة الاولى سنة ١٩٣٢ مع رواد جمعية الشبان المسيحية برياسة المقدم « اتول »

وكانت المرة الثانية بدعوة « شركة سير السفاين التركية » وضيافة الصديق المصرى التركى الاستاذ حسين فريد صدق ، نزيل القاهرة الآن

وفى المرتين زرت مع الجماعة ومنفرداً كل ما فى استامبول من جوامع واثار ومتاحف ومكتبات فلم يبق النفس شىء

ولذلك رأيت ان تكون الزيارة الحاضرة قاصرة على النزهة والاكل والشرب واعادة الكرة على القليل من دور الكتب والصحف

جولة فى مكتبات ميدان بايزيد

فاما المكتبات فزرت منها مكتبة بايزيد فوجدت امينها السيد اسماعيل صائب قد شاخ وهرم وبدت عليه علامات القرف والملل وقال لى انه لا جديد فى حركة المكتبات

ثم زرت مكتبة الجامعة (دار الفنون) فاطلعنى امينها الاستاذ فهمى ادهم بك على رسالة بالفرنسوية وضعها بمشاركة المسيو ايفان شوكينى . عضو معهد الاثار الفرنسوى فى استامبول عن « المخطوطات المصورة » فى المكتبة

وزرت كذلك متحف الانقلاب وفيه الكثير من الصور والتحف التى نسخت بزوال العهد

الماضي . ومكتبته واسعة لها فيش منظم وغرفة للمطالعة تشرف عليها فتاتان تركيتان

وتجولت في سوق الوراقين ، وعهدي بها عامرة بالمخطوطات والكتب العربية النادرة والمصاحف الاستامبولية ، ولكني في هذه المرة لم أجد شيئا من ذلك

وقصدت الادارة العامة للمتاحف ، فعلمت من مديرها ان المتاحف كلها مقفلة للعطلة الصيفية ونقل ما فيها من التحف الثمينة النادرة الى مخابىء خيفة الحرب وقنابل الطيارات

وصحبت الأستاذ خاطر بك لزيارة معهد الآثار الالماني سائلين عن الاستاذ الدكتور ومتر والمطبوعات العربية الاخيرة للدار فلم نجده وقالت لنا الموظفتان انه ليس لديهما قوائم بالمطبوعات

زيارة ادارة جريدة « تان »

وزرت ادارة جريدة « تان » وهي صحيفة يومية راقية انشأها منذ اربع سنوات الاستاذان خليل لطفي بك وزكريا شرتك بك ، ويتولى اولهما اعمال الادارة ، ويرأس ثانيهما التحرير

والاستاذ شرتك صحافي قرارى درس الصناعة في اهالها في كلية هارفرد الامريكية وزاولها ٢٥ سنة في عدة صحف تركية ومجلات ، وكان مديرا عاما لادارة المطبوعات

وادارة « تان » مجهزة بأحدث الآت الطباعة من الترتيب وروتاتيف ومعمل للحفر ومكتبة حافلة بالوثائق والصور وكتب المراجع

وفيها من المحررين عشرون ولها مراسلون في العواصم الاوربية الكبرى

وتوافيها شركة تلغرافات الاناضول يوميا بنحو عشرين صفحة من الفولسكاب ويستعين المحررون احيانا بالراديو لالتقاط اخبار مصر وسوريا وفلسطين ولندن وعواصم اوربا الكبرى

ويبلغ عدد ما يطبع منها نحو ٦٠ ألفاً . وفي ايام الحوادث الخطيرة تطبع مئة ألف . ولما توفى المرحوم الاتاتورك طبعت ٢٠٠ الف نسخة

ممثل مصر والعرب في جريدة « تان »

ويمثل مصر والبلاد العربية في جريدة « تان » الاستاذ عمر رضا الصحافي المخضرم التركي اصلا

المصرى مولدا ونشأة .

فقد كان المرحوم والده شيخ رواق الاتراك فى الازهر المعمور . وبدأ عمله الصحافى فى جرائد الحزب الوطنى سنة ١٩١٣ فى عهد المرحومين الشيخ عبد العزيز جاويش وامين الرافعى بك

وانتقل الى استامبول فى اول الحرب العظمى واشتغل فى الجرائد التركية وراسل جريدة « الاخبار » ايام المرحوم امين الرافعى بك ، والسياسة اليومية والاسبوعية

وعرفته سنة ١٩٣٣ فى زيارتى الثانية لاستامبول ، وكان يحرر ويترجم فى جريدة « وقت » ويقوم الان برياسة قسم السياسة الخارجية فى صحيفة « تان » وقد قام بواجبه الوطنى فى الحركة الاخيرة لتوثيق عرى الصداقة بين مصر وتركيا . وكتب عدة مقالات ممتعة عندما زار صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا البلاد التركية

جولات فى المدينة وشواطىء البوسفور

ولم يفتنى الاكل الطيب فى مطاعم استامبول الفاخرة : عند عبد الله افندى فى شارع الاستقلال ، وماهر افندى فى بايزيد والقونيل فى السركجى

وتمتعت بالجلسات الشائقة فى القهوات الوطنية بميادين الفاتح وبايزيد والسلطان احمد ولكل ميدان تاريخه وسحره وقهواته التركية والحمام الاليف فى ظل المآذن العالية

ومن هذه الميادين الحافلة بالذكريات التاريخية الى ميدان تقسيم . وفيه قهوة « جمهورية » ويديرها ارمنى وتخدم فيها فتاة بولونية تؤدى عملها بخفة ولباقة

ويكثر ترداد باعة الصحف الافرنكية المحلية اليومية على هذه القهوة منادين باسماء صحف الريبابليك والجورنال دوريان صباحا واستامبول وبايوغلو مساء . وفيها اهم أخبار الحرب وخلاصة تامة لاقوال الصحف التركية

وقد كفتنى هذه الصحف وسماع راديو مصر وفلسطين ومحادثة رجال القنصلية معرفة اهم مايقال عن الحرب

وقصدت البسفور غير مرة وكحلت العين بمشاهده الفريدة ومحاسنه الطبيعية التي لامثيل لها في العالم كله

وبدأت هذه الزيارات بزيارة قصر بيك لساكنة الجنان السيدة ام المحسنين وفيه المفوضية المصرية وقد غيرت معالمه ونقوشه القديمة وزخارفه التركية

ثم كانت جولات بالاتوبيس مرة والبواخر مرة وجلسات في قهوات وكازينات بيك واورتاكوي وطرابيه على الشاطئ الغربي وموضه وقاضى كوى واسكودار على الشاطئ الغربي

مظاهر النهضة الاجتماعية في استامبول

وما ابدع هذه الأندية البحرية . وقد ازدحمت يوم الاحد بالالوف من اهالي استامبول يجتمعون ونسائهم واولادهم حوالى الموائد الصغيرة ويتناولون الطعام والشراب . ومن القهوات الى دور السينما شاعرين بنعمة النظام الجديد الذي اتاح للسيدات رفع الحجاب ومرافقة الازواج والاولاد والاباء والاخوة في المتنزهات والحفلات العامة والخاصة

وحدث عن النظام في سير الجماعات ودخولها وخروجها في البواخر وانتظار قطارات الترام مما لانزال نجهله مدنيين كنا أو قرويين

وحدث كذلك عن النظافة التي شملت الشوارع والمطاعم ذات الواجهات الزجاجية وخلفها انواع الاطعمة من خضر ولحم واطنان البالنجي ضولمة . ثم دكاكين القصابين وقد علقت فيها القوازي بشكل مغر . وصالونات الحلاقة المجهزة بالادوات الجديدة

عند بلبل تركيا صفية هانم

على ان خير مالقيته في استامبول هو مقابلة السيدة صفية بلبل تركيا الصداح عرفني اليها الزميل الاستاذ اشرف الكاتب بكتاب حملته في حلب

والسيدة صفية حجازية تركية كان ابوها ضابطا في البلاد العربية وامها شركسية من جواري السلطان عبد الحميد

وتوفى والدها وهى صغيرة . فتربت فى دور الايتام . واتمت دراستها الابتدائيـة والثانوية ثم تخرجت فى دار المعلمات

واشتهرت أيام دراستها بحلاوة صوتها . وغنت ليلة فى حفلة كبرى فلم ليرق عملها ناظر المدرسة وهددها بالعقاب ان هى عادت الى الغناء فقدمت استعفاءها من الوظيفة

وذاع خبرها فاقبل عليها السماع وشهد لها اساتذة الفن . ولم يلبث حتى دعيت الى الغناء فى اكبر المراسح والـكازينات وراديو انقره وملء اقراص الفونوغراف

وكان الاتاتورك فى طليعة المعجبين بها يدعوها الى حفلاته الخاصة ويطرب لاناشيدها ويستعذبها

ومجلس السـيدة صفية عامر بالادباء والصحافيين والفنانين

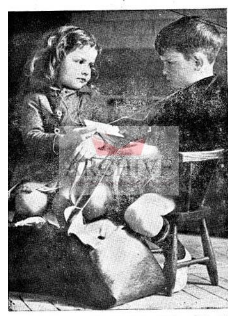
وقابلت فى صالونها الزملاء عمر رضا وناجى سعد الله وجواد شاكر وسعيد كمال وعبـد المنتقم من محررى جريدة « تان » ومحمد فتحى غزلان والسيدة ملكة جمال الراقصة ، ويورجو العواد اليانست واليكو الـكمنجاتى المهندس

وكان الاكل والشرب والغناء وسماع اخبـار الحرب فى راديو فلسطين ولندن ومصر

واسرتنى السيدة صفية بظرفها وادبها ، فبقيت فى استامبول تلبية لدعوتها خمسة أيام بعد الموعد الذى كنت قد ضربته لمغادرتها

وصحبتنى فى سيارتهـا يوما الى شاطىء فلوريا ويوما الى شاطىء البوسفور حتى مدينة بيوكدره وليلة الى مطعم عبدالله افندى

وكانت ليلة الثلاثاء ١٢ سبتمبر ، موعد وداع استامبول فاقامت السيدة صفيـة حفلة شائقـة حضرتها والاخوانُ المحرزين فى جريدة « تان » والسيدة ملكة جمال . وافاضت فيها السيدة صفية اشكالا والوانا من طعام وشراب واغاريد بابلية الى ساعة متأخرة من الليل



أجلى الانجليز جميع الاطفال عن لندن وانزلوهم بين العائلات فى الريف وذلك خوفا من أن تصيبهم غارات الطائرات . وترى هنا صورة طفلين يتعارفان

ازهـــــــــار الشعر

للاستاذ صديق شيبوب

ليست عظمة الشاعر فى كثرة انتاجه او عدد منظومه او ضخامة مجموعاته الشعرية بل فى قيمة هذا الشعر وقوته وجماله . ورب شاعر خلد فى ديوان واحد استطاع ان يفتح به فتحاً جديداً فى الالهام والشعر

من هؤلاء الذين خلدوا فى ديوان واحد « شارل بودلير » صاحب ديوان « ازهار الشعر »

وقد رأينا اليوم ان نعرض الديوان على نفسه لنقل الى الشاعرية التى تتجلى فيه والجديد الذى استحدثه فى الالهام الشعرى . على أن لهذا الديوان قصة جديرة بأن نروى حديثها لان بعضها عالق بحياة الشاعر وشاعريته وبعضها خاص بتطور الانسانية فى نظريتها فى الاخلاق والشعر .

ظهر ميل بودلير الى الشعر منذ صباه . فقد كان وهو صبى مرهف الاحساس دقيق الشعور لذلك كانت قوية تلك الصدمة التى اصابته عند زواج امه من الجنرال اوبيك . كان بودلير وقتئذ فى السابعة من عمره ولكنه شعر بالرغم من صغر سنه بأن هذا الدخيل يسرق منه الشطر الاكبر من عواطف امه التى كان يود أن يحتفظ بها كاملة وينعم فى ظل عطفها . وقد ابتدأت كراهيته لهذا الزوج منذ ذلك العهد فلم يستطع طيلة حياته ان يغتفر له هذا الجرم العظيم فى نظره .

ونجد دليلا على ميل بودلير للشعر فى صباه انه نال وهو فى الخامسة عشرة من عمره جائزة مدرسية لتفوقه فى الشعر اللاتينى . أو لعله كان وقتئذ يعالج الشعر الفرنسى . ولقد لقى فى ذلك العهد بعض الشعراء وجعل يختلف اليهم . ونحن نعرف له شعراً نظمه بعد ذلك بعامين أى فى عهد تعرفه الى الفتاة اليهودية ساره التى كان يسميها « لوشيت » وهذا يدل على طريقته بالرغم من ضعفه .

وفى العشرين من عمره كانت شاعريته قد نضجت ولكنها لم تبلغ حد الكمال وقد روى بعض مؤرخيه انه نشر قصائد من نظمه فى مجموعة « شعر » التى ظهرت سنة ١٨٤٣ منسوبة الى بعض اصدقائه من الشعراء ويظهر انه فعل مثل هذا اكثر من مرة .

وقد حاول فى ذلك العام نظم مسرحية شعرية اكتشف بعض المعجبين به جزءاً منها سنة ١٩٢٧ مكتوباً بخط بعض اصدقائه .

ولعل شدة عناية بودلير بشعره وحرصه على بلوغ درجة الكمال الفنى من الاسباب التى جعلته لا يتعجل نشر شعر منسوباً اليه . لذلك يجب ان ننتظر شهر يونيو سنة ١٨٥٠ لنجد قصيدتين منشورتين باسمه فى مجلة الاسر التى قالت انهما منقولتان عن ديوان سيظهر قريباً بعنوان الاعتراف قصد فيه ناظمه تصوير اضطراب شبان العصر وآلامهم .

ولم يعرف شعر بودلير على حقيقته الا عندما نشرت مجلة العالمين بعضاً منه .

كان من عادة بيلو صاحب هذه المجلة ان لا ينشر فيها شعراً الا لشعراء معروفين . على انه خرج على عادته هذه ونشر فى عدد اول يونيو سنة ١٨٥٥ ثمانية عشر قصيدة بعنوان ازهار الشر فكانت اول مرة ظهر فيها هذا العنوان ثم أقره الشاعر نهائياً .

وقد كتب محرر المجلة مقدمة لقصائد بودلير المنشورة اراد ان يعتذر بها لدى قرائه عن نشر شعر جرئ كهذا قال :

« نود ان نشير ، ونحن ننشر الاشعار التى سوف يطالعها القراء ، الى ان الروح التى تصدر عنها مفعمة بالعطف على المحاولات والتجارب التى تجرى فى شتى الفنون . ويظهر لنا هنا انه يجب الاهتمام بوسائل بسط مظاهر الضعف او الآلام الادبية بسطاً حياً عجيباً قويا وهى ظواهر لا نشاطر الشعور بها ولا نجادلها ولكنا نعتبرها جديرة بالاطلاع عليها كأنها من الدلائل على هــذا العصر . ونعتقد من جهة أخرى ان هناك ظروفاً لا يعتبر فيها النشر تشجيعاً فحسب . بل ان له اثر النصيحة النافعة ، يهئ المواهب الصحيحة فرصة للخلاص مما يعلق بها من شوائب ولتتقوى وتتسع سبلها باتساع افقها »

ولم تكد تظهر هذه القصائد فى مجلة العالمين حتى قامت بعض الصحف تنادى بالويل والثبور

وعظائم الامور . وكانت صحيفة الفيجارو زعيمة هذه الحملة لاسباب دلت فيا بعد على انها كانت سياسية اكثر منها ادبية : ولكنها اجفلت الناشرين فاحجموا عن طبع الديوان . وكانت هناك مفاوضات مع ميشيل ليفى فقطعها . وأخيرا تعاقد بودلير مع بوليه ملسى ، وكان ناشرا ناشئا يحب الادب ويعطف على الادباء ، واول كتاب نشره ديوان شعر لتيودور بانفيل والثانى ديوان ازهار الشر لبودلير . وتم التعاقد بين الطابع والناشر فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٥٦

وسلم بودلير ديوانه مخطوطا لمباشرة الطبع فى ٤ فبراير سنة ١٨٥٧ على ان ينتهى فى اسابيع ولكنه طال خمسة اشهر لان بودلير كان دائم التنقيح والتبديل ، وسترى فيا بعد أى صانع ماهر كان هذا الشاعر العظيم ، وقد قال فى خطاب الى امه :

ويتجلى هذا الكتاب بجماله المهيب البارد ، فقد كتب فى عنف وصبر .

وقد كان الناشر بعيد النظر لانه احتفظ بالاصول التى كان يصحح فيها بودلير اخطاء الطبع أو يدخل بعض التنقيحات على شعره وقد باعها بعد موت الشاعر بعامين وسبعة وثلاثين فرنكا ثم بيعت فى مزاد عام فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ باربعين الف فرنك .

***

ظهر ديوان « ازهار الشر » فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٥٧ ونشرت « صحيفة المكتبة » هذا النبأ فى ١١ يوليه .

قال بودلير فى خطاب الى امه

« ان الحملات القوية التى يشنونها على الكتاب خير دليل على قيمته الحقيقية »

وقد استهلت صحيفة « الفيجارو » هذه الحملات بمقال عنيف نشر فى ٥ يونيو سنة ١٨٥٧ بقلم « جوستاف بوردان » صهر صاحب الصحيفة الذى كانت له علاقة متينة بوزير الداخلية

ويقال ان الغاية من هذه الحملة ان تمهد السبيل لمحاكمة الشاعر ليلتهى الرأى العام بها وينشغل عن السياسة الفاشلة التى كانت تقوم بها وزارة ذلك العهد .

وعمت الحملة اكثر الصحف فقام كتابها يشنون الغارة على الديوان فحاول اصدقاء بودلير الدفاع عنه ولكن جهودهم لم تثمر لان الصحف ابت نشر ما بعثوا به اليها .

وكانت الآمال معقودة على مقال يكتبه استاذ النقد فى ذلك العصر « سانت بوف » وكانت تربطه ببودلير روابط صداقة وعطف واحترام . فقد كان بودلير شديد الاعجاب بمواهبه كما كان « سانت بوف » يتظاهر بالعطف عليه ويدعوه فى خطاباته « ابنى العزيز » وكان ينشر مقالاته فى صحيفة « المونيتور » وهى الصحيفة الرسمية . لذلك ظن اصدقاء بودلير ان مقالا من الناقد الكبير فى الصحيفة الرسمية يكفى ليعيد الأمور الى نصابها ويحول دون رفع القضية ولكن هؤلاء المتفائلين كانوا يجهلون نفسية « سانت بوف » الذى اكتفى بخطاب خاص أرسله الى بودلير فى شكل مذكرة تساعده للدفاع عن نفسه وينم الخطاب عن رغبة صاحبه فى ان لا يتظاهر بتأييد صديقه لانه كان يريد ان يظل على اتصال دائم مع اصحاب السلطان واولياء الأمور وقد كانت مذكرة « سانت بوف » عجيبة حقا لأنها اعتراف بالجريمة والتماس لمعاملته وفقا لما يسمونه بالظروف المخففة . فقد قال :

« ان الشعراء قد استأثروا بشتى المواضيع الشعرية التى تثير الالهام « فلا مرتين » . قد آتخذ السماء وحيا لالهامه ، و « فيكتور هوجو » الأرض بل اكثر من الارض ، و « لا براد » الغابات و « موسيه » الشهوات ، وغيرهم استأثروا بالاسرة وحياة الريف » و « جوتييه » نظم فى اسبانيا والوانها الزاهية . فماذا بقى بعد ذلك ؟ ان ما عرض له بودلير انما اضطر اليه : »

ولكن ما لم يفعله « سانت بوف » قام به ادوار تيرى الذى نشر فى صحيفة المونيتور الرسمية مقالا طيبا دافع فيه عن الشاعر وديوانه وقد فعل ذلك بأذن من احد الوزراء مما اثار حفيظة وزير الداخلية فاستعجل رفع القضية العامة

وقد زار بودلير صديقه النقادة فى اليوم السابق للمحاكمة راجيا مساعدته فلم يلق غير حديث معسول ينطوى على تهرب معيب . خصوصا ان هذه القضية تأتى بعد شهور من قضية ادبية اخرى وهى التى اقيمت على فلوبير لنشره قصته مدام بوفارى . وقد غضب وزير الداخلية لأن سانت بوف كتب عن القصة فى حينها وهو يخشى اليوم ان يعود الى موقفه السابق .

ولعل بودلير كان ينظر الى هذا الموقف حين قال .

« ان الاشخاص الذين نحبهم أوعية مليئه بالمرارة يجب ان نشربها حتى الثمالة »

ولا غرو اذا اثار موقف سانت بوف غضب اصدقاء الشاعر فتصدى له احدهم فى المجلة الفرنسية

ولكن حسن اخلاق بودلير جعله يدافع عن النقاد الكبير الذى تخلى عنه ويهاجم صديقه الذى يدافع عنه .

•••

قدم بودلير للمحاكمة وتحددت الجلسة يوم ١٠ اغسطس سنة ١٨٥٧ وقد كانت جلسة حافلة برجال الادب وكرائم السيدات وتولى الدفاع عنه المحامى «شى وستنج» فترافع فى شىء من المرارة والالم . حكم على الشاعر بغرامة قدرها ثلاثمائة فرنك وعلى الناشر بغرامة مائتى فرنك لانهما اهانا الآداب العامه والاخلاق الفاضلة كما حكم بحذف ست قصائد من الديوان

وقد استقبل الحاضرون الحكم واجمين لانهم كانوا ينتظرون البراءة . وصاح احدهم «ليحيى بودلير»

واسدل الستار على هذا المنظر المحزن لان الشاعر لم يستأنف الحكم .

أما اليوم فان هذه القصائد تنشر من غير أن تلقى عنتا وقد تغيرت الاحوال واختلت الاراء وصرنا اكثر تساهلا من ناحية الاخلاق . ولا يعتبر ما ينشر اليوم هو اشد جرأة على الاداب العامة من قصائد بودلير

•••

بق لنا ان نحدد شاعرية بودلير ومركزه من الشعر الفرنسى ونود أن نشير اولا باقتضاب بعد ان طال بنا الحديث الى اختلاف النقاد فى الحكم عليه . وهذا الاختلاف يتناسب مع العصر لأن النقاد المعاصرين لبودلير لم يكونوا ليقدروا عظمة الشاعر تماما بالرغم من ان بعضهم «وخاصة الشعراء منهم» أعجبوا بها . وقد قال له هوجو فى بعض خطاباته لقد احدثت فى الشعر رعشة جديدة . على انه غلا بعض النقاد شديد الوطأة فى الحكم عليه ومن هؤلاء برونتير الذى كان يجد فى الشاعر شخصاً غريب الاطوار الى حد الجنون وقد علق اناطول فرانس على كلام برونتير فقال

«انه ادلى برأيه صريحاً على عادته ولكنه فى هذا اليوم الذى قاله فيه اهان من غير عمد آلهة الشعر لأن بودلير شاعر»

والذين ينتقدون بودلير يأخذون عليه قصر العامه ، وتعمده الظهور على غير طبيعته ، وتفكيره

العادى . ولعل « جوستاف لانسون » مؤرخ الادب المعروف الذى ساير « برونتيير » فى كثير من آرائه قد اجمل المآخذ على الشاعر حين قال « ان فى وصفه للاشياء القذرة ، وفى محاولته الظهور بمظهر الشيطان الماكر الضار العابث بالاداب والاخلاق ، كثيرا من التعمد ، واقحاما للالهام تحت تأثير فكر ناضب . اما الشعور فمعدوم ، واما الذكاء فأقوى منه وهو عادى ، واما قوة الاحساس فمحدودة » ثم يصف « لانسون » تشبعه من فكرة الموت وينتهى بتعظيم الفنان الذى يستمد من الفكرة العادية هذا السحر الحلال .

وهناك من لا يشاطر هؤلاء آراءهم فقد قال اندره سوارس « ان هناك طريقة للاحساس قبل ظهور بودلير وطريقة أخرى من بعده »

ولا أريد ان اطيل فى مثل هذه الاستشهادات وانما احاول ان أبين مرده فى التاريخ . اما شاعريته فتأثرة بشخصيته تماماً . انه ابن رجل جاوز الستين وقد اصيب فى فجر شبابه بمرض يؤثر فى الاعصاب ولعله كان لهاتين الظاهرتين أثر فى شعره لانه كان بطىء النظم قصير الالهام ولعل مصدر هاتين الظاهرتين رغبته فى بلوغ الكمال الفنى ، لان كتابا كديوان « ازهار الشر » لا يكتب فى عام أو عامين بل هو نتيجة حياة باكلها وعصارة ذهن وأعصاب فنيت فيما ارادت التعبير عنه .

كانت اللذة قبل بودلير شعورا مبهما يتصل بالشعر من ناحية الاحساس اما بعد بودلير فقد اصبحت اللذة معرفة لاننا صرنا قادرين على الاستزادة من نشوتها فى تفسير بواعثها وتحليلها

وقد وصف بودلير سأمه وبواعث نفسه وملذاتها على طريقة جديدة اذ لجعل فكرة الموت مسيطرة عليها .

كان الشعراء قبل بودلير يعتقدون ان الشاعر لا يستمد الهامه من غير الجمال وأنه محرم عليه ان يعرض لما هو قبيح كريه فعلمهم بودلير كيف يستمد الشاعر الهامه حيث يجده فى الجمال والقباحة والقذارة حتى فى جثة الميت والديدان التى تأكلها .

أما فكرة الموت فقد اقحمها فى اكثر شعره فكأنها هى التى كانت تسيطر عليه . وهو من هذه الناحية يذكرنا بالنصرانية كما كانت فى القرن الخامس عشر ولكنه يختلف عنها فى ان هذا الموت الذى كان يسيطر على فكره ورغبته هو الموت الذى نجده فى الجثة ونحسه لمساً ورائحة .

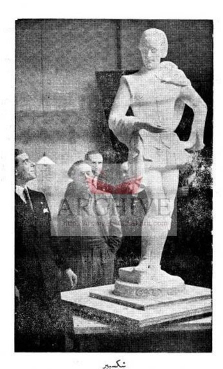
وقد كانت هذه الفكرة مزيجاً عجيباً من سمو فكرى صادق واحساس جسمى قوى

اما الشاعر الصانع الذى يصوغ الكلام فقد كان ماهرا حقا . حاول بودلير أن يختار اللفظ الموسيقى الذى تدل نغمته على المعنى كما يدل عليه فى نفسه ، فكان دائم التنقيح والتغيير والتبديل ولا نستطيع ونحن نكتب بالعربية ان ندل على طريقة بودلير فى اختيار اللفظ وتبديله وتغييره وتنقيحه لذلك نكتفى بهذه الاشارة .

« • »

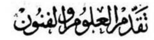
وقد كان أثر بودلير عظيما فى الشعر الفرنسى وصار زعيم مذهب نشأت عنه مذاهب اخرى . ولسنا ندعى اننا احطنا بشاعرية بودلير وحياته فى الابحاث التى نشرناها عنه ولكننا رأينا ان ندل الى الشعراء الذين نبغوا فى القرن التاسع عشر غير «لامرتين» و«هوجو» و «موسه» بعدان استولى هؤلاء الثلاثة على اذهاننا فلم يعنوا بغيرهم ؟





شكسبير

مما يعد ذا مغزى كبير في الوقت الحاضر هذا التمثال الجميل لشاعر الانجليزي شكسبير الذي اهدته الحكومة البريطانية لحكومة ايطاليا . وقد وضع في مكتبة امبروزيا في ميلان



رمزية الاحلام

يرمز الحلم الى معنى أو مغزى مختبئين فى العقل الباطن . ولكل امة رموزها التى تتفق والاوضاع والعادات الاجتماعية الفاشية فيها . ولذلك يجب الا يسلم القارىء بصحة هذه الرموز التالية من حيث التفسير الذى تضع لها . لان هذا التفسير ترجيحى وليس تأكيديا . وخير الطرق لتفسير احد الرموز ان يسترخى الحالم ويترك للخواطر السائبة مع تداعيها تعيين المعنى للحلم . وبعد هذا نقول انه على وجه عام يمكن ان نعد

١ — البيت أو البناء   رمزا للجسم وقد يشير الى الجنس او المرض

٢ — السقوط   رمزا الى الشعور بالخجل أو الأثم

٣ — الطيران أو السباحة   رمزا لبقاء الطفولة

٤ — الحساب   رمزا للهموم المالية

٥ — السرقة   رمزا للرغبة الجنسية أو الزواج

٦ — الوحوش (عند المرأة)   رمزا للرغبة الجنسية

٧ — الجنون او الموت   رمزا للرغبة فى الهرب من الواقع

٨ — القطة   رمزا للاستياء أو السخط

٩ — وجع الرأس أو الضرس   رمزا للعقاب على الاستمناء

١٠ — الفرن والصندوق والدرج والسلة   رمزا لاعضاء التناسل عند المرأة

١١ — الآلات الحادة كالسكاكين   رمزا لعضو التناسل عند الرجل

١٢ — المائدة أو الزورق رمزا للمرأة

١٣ — الحيرة بين اليمين والشمال رمزاً للحيرة فى شأن يتصل بالاخلاق أو الدين

١٤ — ملاعبة الطفل رمزاً للرغبة فى الاستمناء

١٥ — الماء رمزا لايام الطفولة

١٦ — الدخول فى الظلام أو السفر رمزا الى الرغبة فى الموت

١٧ — العرى رمزا للرغبة فى الرجوع الى الطفولة

١٨ — الصعود على سلم رمزا للتعارف الجنسى

لماذا تكون عبدا للسجارة ؟

اذا لم تصدق أن التدخين عادة قاهرة فانظر لمن حولك اذ تريبنا الابحاث أن ثلاثة أخماس المدخنين حاولوا ابطال التدخين ولم ينجح فعلا الا خمسان فقط من هؤلاء —

فكم من عامل لا تزيد أجرته اليومية عن أربعة قروش يصرف قرشا يوميا فى الدخان بينما أولاده مرضى من قلة التغذية .

وكم من امرأة تحمل طفلها على ذراعيها وتستعطى نقوداً للدخان . واذا طلب منها أن تكف عن التدخين شفقة على نفسها وأولادها تجيب بأسف : « ياريت كنت أقدر »

وتكتسب شركات الدخان فى القطر المصرى من ١٠ — ١٥ الف جنيه شهريا من كل مديرية .

يحتوى التبغ على سموم كثيرة أهمها « النيكوتين » وهو من اشد السموم فتكا بجسم الانسان ولا ينجو اى جزء من الجسم من أضرار هذه السموم فهى تؤثر على الجهاز العصبى ولذلك فلاحظ تهيج وعصبية المدخنين ، وارتعاش ايديهم وارتجاف جفونهم

والقلب هو العضو الرئيسى الذى يتأثر بالتبغ . ويتفق العارفون على أن التبغ سم للقلب . وتريبنا التجارب أنه يقلل كفاءة الرئتين نحو النصف وبذا يمهد الطريق لمرض السل

ويسبب التدخين استرخاء العضلات ويمنعها من سرعة رد الفعل فيسبب بطئا فى العمل —

كما أنه يؤثر على الدقة فى الأعمال الفنية كالكتابة باليد أو على الآلة الكاتبة أو التصويب الى هدف معين

وترينا الابحاث أن الطلبة الذين يدخنون متأخرون بمعدل سنة أو سنتين عما يستحقونه من مركزهم العلمى

أحسن طريقة هى الا تبدأ

ولكن اذا كنت تدخن فعليك أولا أن تعزم عزما وطيداً على ابطاله .

وفى الاسبوع الاول استعمل هذه الوصفة

اشرب نصف ملعقة صغيرة من الملح الانكليزى ونصف ملعقة من ملح ترتير مع نصف قدح من الماء يوميا قبل الفطور ثم اغسل فمك بماء به ١ فى المائة من نترات الفضة بعد كل أكلة

استحم بين آونة وأخرى . اشرب ماء كثيراً ، مارس الألعاب الرياضية فى الهواء الطلق .

امتنع عن المأكولات المبهرة الحارة والمالحة وعن المشروبات المهيجة ، كل الاطعمة القطانية

استعمل الحلويات والألبان لأنهما يساعدان على تقليص الشهوة للتدخين .

« لم يكتب النصر لأحد الا عن طريق الجهاد والنضال وموعود بالمعونة الالهية لكل من تجاهد قانونيا وبالتأكيد سيكون النصر حليفه »

جمية السيدات المسيحية لمنع المسكرات والمخدرات
بالقطر المصري ـ أسيوط

ورق لقتل الذبان

هناك مادة لزجة تباع فى الأسواق تحت أسماء مختلفة وهذه يدهن بها ألواح من ورق كرتون أو ورق تخين ، أما اذا أريد صنع هذه المادة محليا فتحضر المواد الاتية بالنسب المذكورة :—

٣٦ فى المائة قلفونية

٤٨ فى المائة زيت بزر كتان مغلى

١٦ فى المائة زيت خروع

وطريقة صنعها هى أن يسخن زيت بزر الكتان بعناية الى أن يصير له « عرق » ثم تصهر القلفونية مع زيت الخروع ويضاف هذا المخلوط الى مغلى بزر الكتان مع التقليب ، وبعد الخلط يطلى به سطح ورق من نوع خشن الملمس ، مع ملاحظة أن يكون المزيج ساخنا عند الدهان .

النخل المصرى

يجب ان نأكل بلحا كثيرا

هذه هى النتيجة المنطقية لرسالة أخرجتها وزارة الزراعة حديثا عن النخيل فى مصر . فانه يتضح منها ان عندنا ٤٠٠ ر ٠٨٣ ر ٥ نخلة أى ان لكل ثلاثة اشخاص فى مصر نخلة

وأعظم المديريات فى عدد النخيل هى مديرية الشرقية التى بها ٠٠٠ ر ٦٠٢ وتليها الغربية وبها ٢٠٠ ر ٤٣٣

وقد كان لنا نحو ١٣ مليون نخلة قبل سنة ١٩٠٧ . ولكن خزان اسوان أهلك مقدارا كبيرا منها . ونحن فى المرتبة السادسة بين الاقطار التى تنتج البلح . وأولها العراق وبه ٣٠ مليون نخلة . ثم الجزائر فايران فجزيرة العرب فطرابلس فمصر

وتفوق مديرية الشرقية فى عدد النخيل يعود الى ان ارضها أو كثيرا من ارضها رمل لا يصل اليه غير النزر من الماء فيصلح فيه غرس النخيل . بل يمكن ان تتسع هذه المديرية لغرس بضعة ملايين من النخيل

على ان ما يستحق النظر هو ان كثيرا من بلحنا سيء . ومن الممكن ان نستورد من العراق فسائل تثمر احسن البلح

تعلم الاطباء

الطب علم وفن . وكلاهما فى تقدم لا ينقطع لان الاكتشاف والاختراع فيهما مستمر . ولذلك فان الطبيب او الجراح الذى تخرج فى جامعته قبل سنة ١٩١٠ يجد نفسه متخلفا فى الكثير من

النظريات الحديثة . فان كلمتى الفيتأمين والهورمون مثلا لم يكن احد يعرف شيئا عنهما فى العقد الاول من هذا القرن . مع ان لهما الشأن العظيم فى الطب الحديث

وقد شعرت الكليات الطبية بهذه الحال فانشأت فصولا لتعليم الاطباء أى لتجديد معارفهم وزيادتها . فالطبيب يترك مدينته وعمله ويلتحق باحدى الكليات ويعود طالبا فتلق عليه المحاضرات وتؤدى أمامه العمليات الجديدة فيزداد علمه وفنه

وقد أخذت كلية الطب بهذه البدعة الحسنة واغتنم كثير من الاطباء الكهول بدروسهم . ومما يشكر عليه قسم الرمد فى وزارة الصحة انه رتب ايضا مثل هذه الدروس لاطباء العيون . والعادة أن الدروس تستغرق شهرين . وبالطبع لا يحتاج الطبيب الى ان يحضر كل عام اذ تكفيه مرة كل ثلاث أو خمس سنوات

القطن

ليست الحرب هى كل ما يعانى القطن من كوارث . أو يمكن أن نقول أن الحرب كارثة مهما تثقل فهى زائلة . اما الكارثة الدائمة بل النامية فهى الريون أى الاقمشة المصنوعة من الخشب فقد رأيت احصاء للمقابلة بين القطن والريون من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٥ أى فى ١٥ سنة فوجدت أن القطن زاد فى هذه المدة — فى العالم كله — بمقدار ٦ المئة فقط . أما الريون فقد زاد بمقدار الف فى المئة

فاذا اطردت الزيادة فى ١٠ سنوات أو ١٥ سنة قادمة على هذه المئوية فان القطن لن يجد من يشتريه أزاء هذا المزاحم القوى . والاقطار التى تكثر من انشاء المصانع التى تصنع الريون هى تلك التى لا تزرع القطن وهى اليابان وايطاليا والمانيا . ولكن حتى الولايات المتحدة قد أنغمست فى هذه الصناعة الجديدة على الرغم من انخفاض اثمان القطن عندها . وكل ما يحتاج اليه الريون الذى كنا نسميه قبل سنوات باسم الحرير الصناعى هو الخشب

اخبار اجتماعية

الصلح كما يراه نائب بريطانى

اذاعت الجرائد فى الشهر الماضى هذا التلغراف التالى عن الصلح والسلام :

بسط الماجور آتلى زعيم المعارضة فى خطبة القاها فى لندن اغراض حزب العمال من الصلح فقال :

« نريد ان يعلم الشعب الالمانى انه يستطيع الحصول الان على صلح شريف والشرط الجوهرى للصلح هو انه يجب ان تكون فى المانيا حكومة تنبذ الهتارية ويمكن الثقة بها . واذا فرض وتوافر هذا الشرط فانه لا بد ان يقوم الدليل على وجود نية صحيحة سليمة واصلاح ما فسد ومن ذلك اعادة الحكومات الديمقراطية فى تشيكوسلوفاكيا وبولندا وفى وسع الشعب الالمانى ان يفتح الطريق الى الصلح

وبسط المستر « اتلى » اغراض العمال من الصلح فقال . انها تشتمل على ما يأتى :

أولا — ضرورة تعويض الدول التى ذهبت ضحية العدوان الالمانى وفى الوقت نفسه يجب نبذ كل فكرة ترمى الى العقاب والانتقام

ثانيا — يجب ان يكون لجميع الامم ، صغيرة وكبيرة ، على اختلاف جنسياتها واعتقاداتها حق التمتع بالحياة والسير بشؤونها الخاصة الى الامام

ثالثا — يجب تحريم الحرب وعرض المنازعات على هيئة نزيهة من المحكمين

رابعا — يجب ان تكفل هيئة دولية حقوق الاقليات

خامسا — الاعتراف بسلطة دولية تكون لها الكلمة فوق كل دولة بمفردها على ان تمنح الحقوق والسلطات التى تستطيع ان تنفذ بها حكمها سواء فى الشؤون السياسية او الاقتصادية . فيجب ان يتألف اتحاد من دول أوربا والا كان مصيرها الهلاك

سادساً - نبذ المبادىء الاستعمارية وقبول المبدأ القائل بانه يجب ان يكون لجميع الامم منفذ متساو يوصلها الى الاسواق التجارية والمواد الاولية

واستطرد المستر « اتلى » فقال : انه لتنفيذ هذه المبادىء يجب ان تكون هنالك قوة دولية ذات سلطة كافية تصد كل دولة تحدثها نفسها بالعدوان

وختم المبجر « اتلى » بقوله : ان زعامة الهر هتلر الشعب الالمانى لاتعفى هذا الشعب من تبعته. ان الصلح يمكن الحصول عليه الان على شرط نبذ العدوان والاعتراف بحقوق جميع الامم .

السجون والاصلاحيات

فى مصر عدد كبير من السجون وثلاث اصلاحيات اثنتان منها للصبيان والثالثة للبنات . ويؤمل كثيرون بأن وزارة الشؤون الاجتماعية ستعنى بترقية هذه المعاهد حتى تصلح اخلاق من يحكم عليهم بالدخول فيها . ونظن انه يمكن الوزارة ان تعمد باسرع وقت وبدون ان تتكلف فى ذلك اى نفقة الى هذه الاصلاحات التالية :

١ — تغيير ادارة السجون العسكرية الى ادارة مدنية ، اى ان يكون موظفو السجون مدنيين من خريجى كليتى الحقوق والطب او حتى من خريجى معهد التربية حتى تتجه القيادة فى السجن الى العلاج بدلا من الاتجاه الحاضر الى العقاب .

٢ — ان تفصل الاصلاحيات الثلاث من مصلحة السجون وتضم الى وزارة المعارف أو تستقل تحت اشراف وزارة الشئون الاجتماعية . بحيث تعود معاهد للتعليم بعيدة كل البعد عن نظام السجون . وجميع من فيها تتراوح اعمارهم بين السابعة والخامسة عشر . ومن الضرر بل الخطر ان يعامل هؤلاء الصغار كما لو كانوا مجرمين معها تكن الجرائم التى ارتكبوا

٣ — يجب الا يحكم بمدة معينة على الصبى أو البنت فى محاكم الاحداث وانما يكتفى بتسليمها الى الاصلاحية . وعلى المشرفين على الاصلاحية أن يعينوا هذه المدة بعد مراقبة الصبيان وتعليمهم وتقدير سلوكهم

٤ — كذلك يجب ان يعتبر « حدثا » كل من كان دون العشرين حتى لايدخل الشبان

الذين هم دون هذه السن فى السجون ويختلطوا بمجرمين قارحين . لان الفساد الاخلاق تنتقل عدواه من هؤلاء اليهم . وقلما يرجى صلاحهم بعد ذلك . ولذلك يحسن ان تزيد الاصلاحيات حتى تسع الجميع من يحكم عليهم بالتشرد او بجرائم اخرى بدلا من ان نسوقهم الى السجون . وخاصة لانها — كما قلنا — لاتزال ادارتها عسكرية وليست مدنية .شعارها العقاب وليس العلاج

البيع الجبرى

للاستاذ عزيز خانكى بك اختبارات ذهبية مفيدة فى كل مايتعلق بالاقتصاديات المصرية . وهو محام دائم الاتصال بالمحاكم . وهو ايضا مزارع يمارس الزراعة ويعرف همومها فى هذه السنين . ومن هنا وقوفه على الحال التعسة التى يعانيها المزارعون المدينون الذين لايكاد يكفى ريع ارضهم لسداد الاقساط المطلوبة من ديونهم

ومن أحسن ما يقترحه الاستاذ عزيز خانكى بك ان تأخذ مصر بالقانون الايطالى فيما يتعلق بالبيوع الجبرية ، فان صاحب العقار فى ايطاليا عندما يقع فى الدين ويعجز عن سداده ثم تباع ارضه أو منزله فى المزاد الجبرى يبقى له الحق فى استرداد عقاره مدة عام بعد البيع . وعليه بالطبع ان يؤدى المصاريف التى تكبدها المشترى

ومدة عام تكفى فى العادة لان يبحث صاحب العقار عن الفرد أو الافراد الذين يمكنهم أن يعينوه ويستردوا له عقاره الذى ربما بيع بثمن بخس لايتفق وقيمته

أخبار اقتصادية

السياسة الزراعية البريطانية

للاستاذ أحمد على بك

بين انجلترا ومصر بون شاسع فى الزراعة . فالفلاحة فى بريطانيا ليست حرفة شائعة كما فى مصر والفلاحون البريطانيون أقلية لا يتجاوز عددهم عشر عدد السكان القادرين على العمل ، والاراضى الزراعية فى بريطانيا محدودة لا تنتج غير نصف ما تستهلكه البلاد من المواد الغذائية . وعلى الرغم من ذلك فالسياسة الزراعية فى تلك البلاد شأن عظيم القدر بخلاف الحالة فى مصر الزراعية . فالمرء فى مأمن من الزلل إذا قرر أنها عاشت إلى الآن بدون سياسة زراعية مفهومة . ومازال الفلاحون المصريون يزاولون الزراعة ، مساحة ونوعاً ، بحسب أهوائهم وتقاليدهم بغض النظر عما يصادفه المحصول بعد الجنى أو الحصاد من الرواج أو الكساد .

وبالسياسة الزراعية الملائمة للبيئة المحلية استطاعت بريطانيا أن تزيد إنتاجها الزراعى القومى وترفع أثمانه ، وتحمى غالبية محصولاتها من المنافسات الاجنبية المتيقظة . وفى السطور التالية تحليل لبعض التطورات التى التجأت إليها الحكومة البريطانية ، لا بقصد تعديل سياستها الاصلية ، وهى التسليط والمد الزراعى ، فهذه السياسة ثابتة ، ولكن بقصد إعادة النظر فى الوسائل المتبعة فى تنفيذ هذه السياسة . وهذه الوسائل هى : —

١ — تحديد مساحة وأثمان بعض المحصولات ، وتحسين طرق تسويقها ، بمقتضى قانون التسويق الصادر فى سنة ١٩٣١ والمعدل فى سنة ١٩٣٣ كما فى الحليب ، وحشيشة الدينار .

٢ — اتباع نظام الاعانة المحلية لتشجيع الانتاج القومى ، كما فى القمح وذلك طبقاً للقوانين التى سنت لهذا الغرض .

٣ — السيطرة على الواردات الغذائية بفرض رسوم جمركية عليها بعد أن كانت معفاة من الرسوم عملا بمبدأ بريطانيا وتقليدها في حرية التجارة .

٤ — تطبيق نظام الحصص اختياريا أو إجباريا عند عجز التعريفة الجمركية عن الوفاء بحماية الانتاج القومى . وخصوصا إذا كان هذا الانتاج غير كاف للاستهلاك المحلى كما في اللحم والبطاطس .

وكان الحافز إلى هذا الاتجاه القلق الذى استولى على النفوس فى السنة الماضية ، والخوف من إشهار حرب فى القارة الأوربية قد تكون سببا فى شل حركة نقل المواد الغذائية من وراء البحار إلى بريطانيا ، وقد كثر الجدل واشتد حول معرفة ما إذا كان الأفيد للأمة الاستعانة بالمنبهات الصناعية للتوسع فى سياسة المد الزراعى ، أم ترك الأمور تسير بطبيعتها إلى أن تدعو الحاجة إلى تعديلها .

ويقصد بالمنبهات الصناعية ما كان من قبيل :

١ — نظام الاعانة المالية التى تدفعها الحكومة تشجيعا لزرع القمح

٢ — التسلط على الواردات بزيادة الرسوم الجمركية عليها

٣ — خفض كمية الواردات باتفاقات ودية ، على غرار ماقرره المؤتمر العالمى للحم البقرى ، أو بأجراءات اجبارية ، مع الدول ذات الشأن

قد وضع رئيس الوزارة البريطانية حدا لهذا الاخذ والعطاء فى النقاش والجدل ، وأعلن فساد الرأى القائل بضرورة المغالاة فى تنفيذ السياسة الزراعية البريطانية المتبعة ، والتوسع فى سياسة التسلط والمد فى انتاج المواد الغذائية ، لتمكن بريطانيا من تموين نفسها مما تنتجه محليا . وقال أن التسلط والمد ليسا فى مصلحة الفلاح البريطانى ، بل تنفيذهما عميت له حتما ، كما يتضح من النتائج التى نحصل عليها اذا استمسكنا بهذه الفكرة . ومن هذه النتائج : —

١ — إزعاج وإفقار البلدان الأمبراطورية التى تعتمد على الأسواق البريطانية فى تصريف محصولاتها .

٢ — إضعاف القوة الشرائية المحلية لسكان تلك البلدان وتعجيزهم عن شراء الصادرات البريطانية .

٣ — إضعاف القوة الشرائية للمستهلكين فى بريطانيا نفسها ، لعدم رواج مصنوعاتهم فى البلدان الامبراطورية بسبب نقص القوة الشرائية فى تلك البلاد كما ذكر فى بند ٢

٤ — عجز المستهلكين البريطانيين عن شراء المحصولات الزراعية المحلية لضيق ذات يدهم .

٥ — التضحية بالفلاح البريطانى فى هذه المغامرة

وقال ان فكرة تجويع بريطانيا فكرة خيالية لا يمكن تحقيقها ما دامت لها أساطيل تعتمد عليها فى تأمين طرق البحار ، وفتحها أمام المتاجر . وخير لنا أن نفكر من الان فى شراء المؤن وخزنها للطوارىء ، تخفيفا للعبء الملقى على عاتق الاسطول .

والغرض من هذا التصريح ظاهر وهو إدخال الطمأنينة فى قلوب الفلاحين ، وإقناع الشعب بأنه لا فائدة من السير فى طريق غير مأمون العواقب إذا طال زمن السير فيه . ولكن يظهر أن بعض الفلاحين أساء فهم هذا التصريح ، أو فهم منه أكثر مما عناه الوزير وعده تدخلا من الحكومة لمنع الفلاحين من الاستفادة من الظروف الطارئة ، فهجر المزارع وزادت مساحة المراعى ، وهبطت أثمان الغنم فى سنة ١٩٣٨ هبوطا فاحشا بسبب ذلك .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى انتقص الاقتصاديون هذا التصريح وطالبوا الحكومة باتخاذ سياسة جديدة لخزن المؤن ، سياسة تنفع فى أيام السلم والحرب على السواء ، ويكون أساسها تسهيل عمليتى الخزن والاقتراض ، بتخفيض أجور الأولى وتقليل فوائد الثانية إلى أدنى ما يمكن . وأن تكون المشتريات من البلدان الامبراطورية . وبذلك تصبح بريطانيا العظمى بمخزوناتها أكبر مركز للتموين فى العالم ، وتزداد هيبتها فى الاوساط التجارية ، وتستطيع التسلط على أسعار المحصولات الزراعية وتثبيتها ، بدلا من التقلقل أو الاضطراب الذى يعروها من وقت إلى آخر . هذا التقلقل الذى أساء إلى الزراعة وأوقعها فى أزمة يئن منها الجميع بلغ فى السنوات العشر الاخيرة متوسطا يقدر بنحو ٩٦ فى المائة إذا استثنينا القطن والقمح .

وقد ركزت الحكومة اهتمامها وعنايتها حديثا فى زيادة مساحة الأراضى التى تزرع بالعلف الاخضر ، استعدادا للحرب ، وتمشيا مع السياسة التى رسمتها لاسعاد الفلاحين الانجليز ماليا . وبذلك قلت مساحة المحصولات فى السنة الماضية بعض القلة ، وزادت مساحة المراعى المستديمة .

ولكن هذه السياسة ان أعجبت فريقا من الشعب الانجليزى وأشاد بنفعها ، إلا أن فريقا اخر لم يرهذا الرأى، بل انكرها وندد بها ، بدعوى انها تزيد عبء الاجور المحددة للايدى العاملة وتقلل عددها ، او بما قاله الاستاذ ستابلتون فى الاجتماع الذى عقده الاتحاد البريطانى فى كمبردج من ان حاجة الشعب البريطانى الحاضرة ليست فى التوسع فى زرع الحشيش المستديم بل فى توفير الطعام الطازج ، ولا يمكن أن يتوافر الطعام مع المد فى زرع العلف الاخضر المستديم . وما زلنا نذكر العبارة التى وجهها الى الحكومة فى صدد هذه السياسة حيث قال « ان سياسة المد فى زرع العلف المستديم ما هى الا اعتذار من الحكومة لتهاونها الشديد فى خدمة المصالح الفردية والقومية » . وقد طالب هذا الفريق الحكومة بضرورة الاسراع فى حصر الاراضى الزرعية ، وتحديد ما يصلح منها للمحصولات الغذائية ومالا يصلح وحماية الصالح منها بالفروض لاتقان خدمته واستغلاله ، أو بما ذهب اليه السير دانيل هول فى ذلك الاجتماع من ضرورة شراء الحكومة ، أو أى هيئة أخرى تمدها الحكومة بالمال ، جميع الاراضى القابلة لزراعة المحصولات وتحتاج الى استصلاح ، حتى يمكن استغلالها على الوجه الاكمل فى زرع المحصولات الغذائية .

وقد لبى المجلس البريطانى للبحوث الزراعية هذه الرغبة وقام بالحصر المطلوب ، وقدر ما يمكن تحويله من أرض المراعى المستديمة إلى أرض تخصص لانتاج المحصولات الغذائية بنحو ١٥ فى المائة من المساحة العمومية للحشيش المستديم . وقد سبق أن قدرها الأستاذ ستابلتون بنحو مليون فدان .

هذه هى أهم التطورات الحديثة فى السياسة الزراعية البريطانية ، والمسئلة ما زالت واقفة عند هذا الحد ، وان كان المأمول أن الحكومة البريطانية لن تقف مكتوفة اليدين بل لا بد لها من السعى إلى كفاية النفس من الانتاج القومى ببذل بعض الجهود لتقوية انتاج المحصولات .

فلما حللت هذه الرغبات وظهرت فى الوعى وخضعت لمختلف العمليات العقلية التى لم تكن تستطيع الوصول اليها من قبل ضعفت قوتها ، ومن ثم هذا التحسن الواضح فى حالة المريض العقلية ، مما ادى الى زوال المخاوف التى كانت تعتريه ورجوعها الى الحالة العادية . فان النار التى كانت تغذيها انطفأت ولم يبق لها ماتعيش عليه بعد .

وعلى اساس هذا التحليل يكون من السهل ان ندرك ان اهم جزء من المخاوف فى هـذه الحالة كان خوف المريض من ان يلقيه رجل آخر : وفى عقله الباطن كان ابوه هو الموجود دائما فى هـذه المناسبة . اما الخوف من ان يقفز هو نفسه فليس الا افصاحا مباشرا عن رغبته فى عمل الشر : فى « السقوط »

واستنادا الى الرأى الثانى من الاراء التى بحثناها هنا تكون المخاوف هى تفاعل رغبة مضغوطة فهى افصاح عن خوف المريض (انفعال مشتق فى غريزة الخوف) من جزء منفصل من عقله ، او من نزعة خطرة تهدد الذات بتغلب الخوف عليها ، او بعبارة اخرى « خوف المرء من نفسه على نفسه » اما اثر اى جرح نفسى فليس الا اثرا مصادفة عارضا . وهو يمكن ان يستخدم كعامل فى بناء الخوف وفى تحديد العمليات التى سوف تحدد فيما بعد تحديدا دقيقا

الفصل العاشر

الامراض الوظيفية (تابع ما قبله)

الهستريا القهرية (التسلطية) — القهر العصبي : يكون النضال فى الهستريا القهرية عادة بين رغبة مضغوطة وقوى ضاغطة ولكنها ليست موانع حقيقية ، ويبدو فيها دائماً اساس شبقى ، بل ان الاعراض هى فى الواقع عوض عن افكار ودوافع شبقية طفلية مضغوطة . وبذا نرى انها تختلف عن الهستريا التحويلية اختلافاً يسيرا من حيث اصلها البدائى . كما نرى ايضا ان الرغبة الشبقية البدائية المضغوطة فى الهستريا القهرية تكون فى العادة من النوع المعتدى ، فى حين ان النزاع (النضال) المضغوط فى الهستريا التحويلية يكون سلبيا من الناحية التناسلية . واذا استطعنا ان نستعيد الذكريات الاولى لمريض يشكو من الهستريا القهرية فسنرى على الارجح انه كان معتديا فى احد الافعال أو الرغبات الشبقية اثناء الطفولة ، فى حين اننا سنرى ان المريض بالهستريا التحويلية كان معتدى عليه فى الطفولة ، اى انه قام بدور سلبى .

وطريقة التكوين فى الهستريا القهرية تشبه الى حد كبير الهستريا التحويلية . فهناك ضغط قوى فى خطر التهدم ، ولكن قوة الشاحنات المضغوطة قد استحالت الى المرض العصبي لتمنع ذلك ، ولتضمن عدم ظهور هذه المادة فى الوعى . وبدلا من ظهور الهستريا فى اعراض جسدية فانها تظهر فى اعراض نفسية اخرى — مثل الافكار المتسلطة والشكوك والاراء التى لا يمكن مقاومتها . وبذا يصبح المريض مضطرا الى التصرف او التفكير بطريقة تضايق عقله الواعى ، دون ان يملك من امره فى ذلك شيئا . وقد توجد المخاوف (فوبيا) فى بعض حالات الهستريا القهرية ، ولكن من الجائز ان تعزى الى حالة هستريا قلقية موجودة فى الوقت نفسه . كما ان الافكار المتسلطة يمكن ان تبدو على شكل اوهام بصرية او سمعية ، ولكن الهذيانات لا توجد فى الادوار الاولى على الاقل : لان المريض قد يدرك تمام الادراك ان الاصوات التى يسمعها او الخيالات التى يراها ليست حقيقية ، وان كانت تزعجه تماما مثلما لو كانت حقيقية : وبذا نرى ان الهستريا القهرية تختلف من هستريا

العقائد الوهمية التي يعانى المريض فيها من هذيانات حقيقية يعتقد انها واقعة فعلا . غير انه ليس من المؤكد ان الهستريا القهرية اذا تمكنت وازدادت سوءا لا تصيب المريض بهذيانات حقيقية : اذ انى لم استطع ان اجمع من الشواهد فى هذه النقطة ما يكفى لاقتناعى بها

والافكار المتسلطة عند المريض بالهستريا القهرية كثيرة ومتنوعة : وهناك عدد كبير من الناس عندهم هذه الافكار بدرجة بسيطة ، فمثلا صادفت رجلا كان يجد نفسه مضطرا الى الوقوف لحظة على كل (بكابورتات) المجارى التى يمر عليها فى الطريق ، دون ان يستطيع مقاومة هذه الفكرة المتسلطة عليه

وثمة نوع آخر من الهستريا القهرية : هو ذلك الذى يتشكك فيه المريض من كل ما يقع تحت سمعه وبصره ، فلا يفتأ يسأل نفسه اسخف الأسئلة مثل : هل القدر الذى على حاجز المدفأة حقيقية ، او هل حذاء زوجته يناسبها . فكل شىء يصادفه فى حياته اليومية ، سواءا كان ماديا او ذهنيا ، هو موضع سؤال منه . وليس من الضرورى ان يكون السؤال علينا ، وانما حسبه ان يسأله لنفسه ، وان يشعر بضيق شديد اذا لم يجد فى اجابته عليه ما يرضيه . ويطلق على هذا النوع اسم هوس الشك ، وفيه لا يستطيع المريض ان يصمم على شىء . وعندى الآن مريض اجرى له التحليل كان الى عهد قريب جدا لا يستطيع ان يعقد عزمه فى الصباح على اى جوربيه يلبس أولا ، وكان فى اثناء النهار يحيا فى شك مستمر من كل أمر تافه ، فيمضى اليوم دون ان يعمل شيئا قط . وفى احدى المرات قضى اكثر من ساعتين حائرا أين يختار مقعده من المسرح فى تلك الليلة ، وقد بدت المشكلة امامه عسيرة على الحل حتى انه لم ينته الى رأى فيها .

وهذا النوع من الهستريا القلقية منتشر الى حد ما ، ويستطيع المرء ان يجد فيها مركب اوديب ضمن مركبات اخرى مثل مركب عشق الجنس ومركب شرجى شبق ومركب المرض .

وقد أجريت التحليل أخيرا لمريض كان عنده هوس الشك فاظهر الرجوع الى تاريخه انه كان يعانى من الامساك فى طفولته ، وكانت امه تقوم بعمل حقنة شرجية له كلما استدعت حالته ذلك : وقد ظهرت عليه فى ملبسه وسلوكه ميول عرض قوية ؛ واعترف بانه كان يشعر بميل قوى نحو عشق الجنس وهو صبى ، وقد قال ان هذا الميل زال ولكنه لا يشعر بجاذبية نحو النساء : واخيرا

اصابته البواسير فارتبطت فى مخه ببداية مرضه ، لان البواسير كانت بمثابة منبه للمركب الشرجى الشبقى ، وخصوصا بعد ان فحصه الطبيب عن طريق الشرج ، وبعد أن حاول هو اجتناب العملية الجراحية بدهن المنطقة بمرهم كل يوم . وعمل حقنة شرجيه ما أعاد الى ذاكرته ذكرى الحقن الشرجية التى كانت امه تعملها له وهو فى الرابعة من عمره . ومن الواضح ان عقدة تثبيتا قويا على أمه مصحوبا بشبقية شرجية ترجع الى تجارب طفولته . وهـذه ايضا تفسر الى حد ما رغبته المضغوطة فى عشق الجنس التى بدت فى احترامه كل النساء بذلك الاحترام المبالغ فيه الذى كان يحمله لامه

وحالة اخرى من حالات هوس الشك ظهرت عقب عمليه بواسير مباشرة . وفى هـذه الحالة ايضا نستطيع الحصول على تاريخ واضح الشبقيـة الشرجية يعود الى عهد الطفولة ، كما نستطيع ان نرى ميلا واضحا الى المرض لم يظهر فى احلام المريض فقط ولكنه ظهر فى اختياره لمهنته ايضا ــ وهى مهنة الواعظ العام

وقد تبدو حالات الهستيريا الشبقية فى شكل نزعة متسلطة نحو الحريق (جنون الحريق) حيث لايستطيع المريض ان يقاوم نزعته للعبث بالنار ، وقد يؤدى به الأمر الى ارتكاب جناية اشعال الحريق فيحكم عليه بالسجن ، والاولى ان يكون نصيبه من اللوم فى ذلك اقل من نصيب المريض بالتهاب الزائدة الدودية فى احداث حالته . او قد تبدو فى صورة جنون السرقة فلا يستطيع المريض ان يقاوم نزعته الى السرقة . وكثيرا مايكون الاساس فى كلتا هاتين الحالتين مركبا شبقيا شرجيا قوياً . ولو ان المريض بجنون السرقة عرض للتحليل بدلا من ارساله الى السجن لكان هناك بعض الامل فى اصلاحه . فالسجن لايمكن ان يشفيه او يصلحه لان حالته ليست فى متناول عقله الواعي ، كالشلل المشلول فى حالات الهستريا التحويلية تماما . ويمكن ان نعد بعض حالات ادمان الخمر والمخدرات — لا كلها — ضمن القهر العصبى : لانها حينئذ تكون خارج حدود ضبط المريض . والكتابة التلقائية نوع آخر من الاعمال المتسلطة . لان المريض قد لايعى ماذا يكتب حتى يقرأ ما كتبه بعد ذلك . وكثيرا مايكشف تحليل هذه الكتابات بسرعة عن المركبات الكامنة وراء الاضطراب العصبى . وفى بعض الاحيان قد يصاب المريض بفكر متسلط يشبه الحلم فيخال نفسه فى الفراش ، ولايستطيع الحركة أو الكلام على الرغم من بقائه واعيا . او قد يتسلط على المريض الفكر بانه

حصاب بمرض خاص فيذهب الى الفراش ويرقد فيه ، بل قد تتسلط عليه فكرة الذهاب الى الفراش دون ان تصاحبها فكرة المرض فيبقى فيه شهوراً . ومن الاعراض المألوفة فى القهر العصبى العنة التناسلية النفسية ازاء شخص بعينه (ويوجد نوع آخر من العنة التناسلية النفسية فى القلق العصبى) .

والخلاصه ان هذه الافكار المتسلطة لانهاية لها ، ولكن علاجها كلها واحد : التحليل النفسى .

واذا كان من الممكن احيانا شفاء الهستريا التحويليه بالاستهواء ، فان هذا يكاد يكون مستحيلا مع القهر العصبى . وقد يتحسن المريض وهو تحت العلاج فى هذه الحالات ولكن المرض لابد ان يعاوده فيما بعد .

هستريا الاضطهاد «هستريا العقائد الوهمية» يمكن ان تعد هستريا الاضطهاد الدور المبكر فى تكوين البارانويا الحقيقية . وهذا نوع من الهستريا يشبه الهستريا التحويليه والقلقية من ناحية الضغط وتحويل قوة الاراء غير المحتملة ، ولكنها تختلف عنها فى أمر واحد هو توافر الظاهرة المعروفة بالانعكاس فالمريض المصاب بها لا يستطيع أن يرى عيبا فى نفسه ولا يدرك اى فكر متسلط او عارض جسدى ولكنه يرى عيوبا خيالية فى غيره ، او بعبارة اخرى تنعكس هذه الافكار المتسلطة على الغير .

وقد يشكو كما فى الهستريا القهرية من الاوهام حسية او بصرية ، ولكنه فى هذه الحالة يصاب أيضا بهذيان حقيقى فيعتقد فى الاصوات التى يسمعها والخيالات التى يراها ، والاولى اكثر حدوثا من الثانية . فابرز النقط فى هستريا الاضطهاد هى هذيان المريض بالنسبة لغيره من الناس . وقد تكون هذه الهذيانات خاصة بالاضطهاد أو بالحب أو بالغيرة او بالخيلاء والعظمة ، فاذا اشتدت هذه الهذيانات فان المريض قد ينتقل الى البارانويا الحقيقية وتتملكه نزعة الاعتداء على حياة الافراد الذين يتوهمهم فى خياله . وفى كل حالات هستريا الاضطهاد التى صادفتها كانت نزعة عشق الجنس المضغوط من اهم العلامات فيها ، اذ أن الميل الى العشق الجنسى يكون قويا فى هؤلاء المرضى على الرغم من عدم ادراكهم له قط . وقد لخص «فرويد» ميكانيكية انعكاس هذه الهذيانات فيما يلى :

« يبدأ المريض بالبارانويا دون وعى منه بالقول «انا أحب الرجل» (مع افتراض ان المريض ذكر) ثم تتحول هذه الصيغة الى أحد الفروض الآتية بحسب نوع البارانويا

بارانويا الاضطهاد . « انا احب الرجل » . وهذا خاطر غير محتمل فيصبح « انا لا احب الرجل » « انى اكرهه » . وهذا ينعكس فيصبح « انه يكرهنى ويضطهدنى » .

بارانويا الخيلاء والعظمة . « انا احب الرجل » خاطر غير محتمل فيصبح « انا لا أحبه » وأحب نفسى وهذا بالانعكاس يصير « كل واحد يحبنى . انا رجل عظيم » .

البارانويا الدينية . « انا احب الرجل » يصبح هذا الخاطر غير المحتمل « انا احبه » يعنى « انا احب الله » ، وهذا بالانعكاس يصبح « ان الله يحبنى ، انا رجل الله المختار » .

البارانويا العشقية . « انا احب الرجل » يصبح هذا الخاطر غير المحتمل « انا لا احب الرجل ، أنا احبها » . وهذا بالانعكاس يصبح « هى تحبنى »

بارانويا الغيرة . « انا احب الرجل » تتحول الى « انا لا أحبه . هى تحبه »

وتشبه ميكانيكية بارانويا المرض ما يحدث فى بارانويا الخيلاء ، اذ تبدأ « انا أحبه » فتصبح « انا لا احبه .. انا أحب نفسى .. يجب أن أعنى بنفسى » .

وقد يبدو انه من الممكن شفاء بعض حالات البارانويا اذا حللت فى دور مبكر ، بدلا من تركها تسير نحو نهايتها المحتومة فى احدى مصحات الأمراض العقلية ، بل لقد ذكر فرنتزى وغيره انهم استطاعوا شفاء بعض الحالات المتقدمة . اما عن نفسى فلست انكر ان الحالات التى عرضت لى للتحليل كانت كلها مبتدئة . ومن ست حالات عالجتها لم تحدث الا نكسة واحدة . وفى هذه الحالة بالذات كان المريض نافرا من التحليل ومنى ، حتى اننا على الرغم من تحسنه فى اول الامر لم نستطع الاستمرار معا . وهو الآن من نزلاء مستشفى المجاذيب لانه حاول ، من ضمن اعمال اخرى ، أن يشعل النار فى منزل ابيه .

وينبغى ان نؤكد هنا حقيقة لا يجوز أن تغيب عن البال . تلك هى انه ليست جميع حالات البارنويا — بحسب ما نعرف حتى الآن — قابلة للعلاج . واظن انى على حق حين اعنى عناية خاصة باختيار الحالات التى اعالجها ، لا لان بعض هذه الحالات تقاوم العلاج مقاومة عنيفة (وقد رأينا ان المصابين بهستريا الاضطهاد لا يعترفون بمرضهم فى اغلب الاحيان) ، ولكن لانهم كثيرا ما يعكسون فكرة الاضطهاد على الطبيب الذى يقوم بعلاجهم ، مما يجعله عرضة لاشد الاخطار

اثناء قيامه بهذه المهمة . ولهذا فلست اغالى اذا أكدت ضرورة العناية عناية تامة عند اختيار حالات البارانويا القابلة للعلاج . فان بعض حالات الهستريا القهرية تشبه البارانويا . وقد تختلط بها عند التشخيص . ولكنها كلها قابلة للتحليل كما أنها تفيد منه كثيرا .

الجنون المبكر (عته المراهقة) : تشبه ميكانيكية الجنون المبكر ما يحدث فى البارانويا مع فرق هام . هو ان العمليات التى تحدث فيه هى عكس العمليات التى تحدث فى البارانويا . فبدلا من أن تعكس المريض ذاته على العالم الخارجى ، نراه يسحب كل شىء الى داخل نفسه . ولم احاول بعد ان احلل حالة من هذه الحالات ، كما لم استطع ان اقنع نفسى بصحة التشخيص فى الحالات التى قيل لى انها جنون مبكر . وعلى ذلك فانا اذكر هذا المرض هنا لا اقتناعاً منى به ، ولكن لان كثيرين من اطباء التحليل المعروفين يضعونه فى قائمة هذه الامراض .

القلق العصبى (نيوروز القلق) . لعل القارىء يذكر ما ذكرناه فى موضع سابق من أن الاساس فى القلق العصبى هو ضغط قوة نفسية اكثر من نزاع بين اراء أو رغبات ، على الرغم من أننا لا نستطيع فى حالة فصل القوة الكامنة وراء أى انفعال عاطفى من رأى أو رغبة تصاحبها .

ومن هنا تنشأ صعوبة التفريق بين الهستريا القلقية والقلق العصبى ، وانما يستند التشخيص فى كثير من الاحيان على عدد المركبات المضغوطة فى حالة ما بالنسبة الى مقدار الانفعال العاطفى المتجمع . وبذا نرى ان القلق العصبى كثيرا ما يكون مصحوبا باحدى المخاوف ، وخصوصا من ذلك النوع الذى نسميه النوع غير المعوض . أما ميكانيكية القلق العصبى فيبدو انها تتكون من المتجمع التدريجى للقوة النفسية او من ضغطها . وهذه تبقى بغير عمل وبغير مخرج ، وهى فى محاولتها الهرب من الضغط تسبب اعراضا جسدية وعقلية متعددة ومتنوعة . وتكاد الاعراض العقلية تنحصر فى القلق بمختلف اشكاله وانواعه ، ثم يظهر ان التوتر الذى ينشأ من هذا القلق العصبى يؤثر على الجسم ويحدث بعض الاعراض مثل التأثير على الغدد المفرزة . ويمكننا ان نشبه عقل المريض المصاب بالقلق العصبى بغلاية بخارية اغلق صمامها : فاذا زاد ضغط البخار دون ان يجد له مخرجا فانه يفجر المفاصل بين مختلف اجزائها ، ويبدو ان القلق العصبى هو نوع من الانفجار فى القوى النفسية وجد مخرجا له من طريق خاطىء ، كما يبدو ان الضغط المتكرر للقوى النفسية الطبيعية يمكن ان يؤدى

الى هذا الاضطراب العصبى فى الحياة الطبيعية . وأهم الاسباب التى تؤدى اليه هى تلك المتعلقة بالحياة الجنسية ، واكثر هذه الاسباب حدوثا هى اولا . طول مدة الخطبة مما يؤدى الى حدوث احتياجات متكررة تضغط بصعوبة ، وتبقى آثارها على الدوام . ثانيا . الجماع المتقطع ، وهو اتصال جنسى يتحاشى فيه الرجل الانسال فيعمل على الانسحاب قبل الانزال ، وفى هذه الحالات لا يكون تفريغ الانفعالات العاطفية طبيعيا ، مما يؤدى الى تجمع القوى النفسية تجمعا يظهر فى الوقت المناسب بصورة القلق العصبى . ثالثا : الجماع المؤجل . وفى هذه الحالات يتعمد كل من الرجل او المرأة تأجيل الارجازم فترة من الزمن بحيث يتفق فى حدوثه مع حدوث الارجازم عند الطرف الاخر ، الذى يكون الوقت اللازم لتفريغ الانفعالات العاطفيه عنده اطول مما عند رفيقه . غير أنه ليست هذه الانفعالات وحدها هى التى تسبب القلق العصبى ، فان الضغط المستمر لمدة طويلة ، او الخوف او الاشمئزاز — وهى كلها أمور تسببت عن الحرب الكبرى — قد تؤدى الى حالة قريبة الشبه جدا من القلق العصبى العادى ، وان كان يطلق عليها أسم خاص هو صدمة القنابل .

مميزات القلق العصبى : يجب ان أنبه القارىء قبل ذكر الاعراض والعلامات لهذا المرض الا ينتظر وجودها كلها فى حالة واحدة . فكثيرا ما لا تتضمن الحالة الا عارضا تافها واحدا يشكو المريض منه ، دون أن يصحبه اى علامات أخرى . ولكننا فى حالات أخرى قد نجد كل الاعراض والعلامات أو أغلبها .

وتظهر فى القلق العصبى كل علامات القلق وأعراضه ، ومن هنا الاسم . ونحن نشاهده فى صورة سهلة ومؤقته فى الطلبة قبيل الامتحان او فى العدائين قبل بداية السباق . ومن المعروف أن العضلات فى بعض هذه الحالات قد تتوتر وتتقلص ، كما تزداد سرعة التنفس والنبض . بل قد يسيل شىء من العرق وتظهر الرغبة فى التبول . وهذه كلها من علامات القلق العصبى فى أبسط صوره . اما فى الحالات الشديدة والمزمنة فالافضل ان نذكر الاعراض والعلامات مرتبة .

الاعراض : قد يشكو المريض من نوبات من الانقباض ، او من سرعة فى التهيج ، أو من زيادة اهتمامه بالتوافه ، او من نقص قدرته على التركيز والتذكر . وقد تقل ثقته بنفسه ، ويتشابه

الصداع او الدوار الذى يعقبه هبوط فعلى قد يغيب فيه عن الوعى . ومن الجائز ان يسمى هـذا الهبوط « نوبة » ولكنه فى الاغلب يرجع الى تغيير فى حركة الاوعيـة يؤدى الى الدوار . ومن الاعراض الهامة التى قد يشكو المريض منها الارق : فقد تقطع نومه احلام مزعجة وفى الحـالات الناجمه عن الحرب تدور الاحلام حول المعارك ، ويرى المريض تجاربه فيها الى حد ما ، كما قد يشكو من اعراض قلبية ومخاوف مرضية منها تلك المخاوف غير المعوضة التى ذكرناها قبلا ، أو يشكو من اضطراب شهيته نحو الاكل واحساسه بالغثيان دون قىء ، او من زيادة رغبته فى التبول وخصوصا اثناء الليل أو من العنة التناسلية . وقـد يذكر ان اقل صوت يزعجه ، وانه سريع التهيج وهذا يزيد من ضربات قلبه ويسبب له ضيقا فى التنفس ، وقد يسبب له ايضا لجاجة فى الكلام وخصوصا امام الغرباء . وفى احيان نادرة قد يشكو من نوبات تشبه الذبحة الصدرية يصاحبها احساس بالموت القريب وخلاصة القول يحيا المريض بالقلق العصبى فى حالة خوف : قد يكون بسيطا او قد يكون حادا كما انه يكون سريع الاحساس بالتعب لانه يستهلك جزءا كبيرا من قوته فى جعل نفسه فى حالة توتر دائم

العلامات : يظهر على المريض القلق والاهتمام ، وقد يصاب برعشة عامة فى جسمه كله ، أو برعشات موضعيه فى يديه او اصابعه او لسانه . وتزيد الانعكاسات العميقة ، وقد يصاب برعشة فى الكعب او يفقد التوازن عند الوقوف مغمض العينين (علامة رومبرج) . والاغلب ان يزيد التوتر فى العضلات كلها دون ان يستطيع ازالة هذا التوتر لارخائها . واذا رفعت ذراعه فانها لاتسقط على الفور حتى اذا طلب منه ان يدعها تسقط . ويتناول هذا التوتر فى عضلات الجسم عضلات الشرايين ايضا وبذا يرتفع ضغط الدم ارتفاعا محسوسا يتراوح بين عشرين واربعين مليمترا . كما تحدث تغييرات فى حركة الاوعية تبدو دلائلها فى تغيير الافرازات فيزيد افراز العرق زيادة كبيرة من تلقاء نفسه او لاقل مجهود ، بل قد يزيد اثناء النوم ايضا . كما قد تضطرب افرازات العصير المعدى . وقـد تبرد الاطراف (اليدان والقدمان) وتصاب بالزرقة . ومن العضلات التى تصاب بالانقباض والتوتر عكستنا ان نذكر الحجاب الحاجز بصفه خاصة ، بل لقد بدا لى فى بعض الاحيان انه تعطل عن العمل تماما ، فاصبح التنفس كله موقوفا على العضلات الضلعية واستحال اداء التنفس البطنى على الرغم من محاولات المريض . وفى هذه الحالات يبدو الحد الاسفل للرئتين مدفوعا الى اعلى مما جعل ضربة رأس القلب

اكثر ظهورا . وما يتصل بهذه الحالات انه اذا كان هناك قدر ضئيل من الحركة في الحجاب الحاجز فانا نستطيع ان نسمع لغطا انقباضيا فوق رأس القلب ولكنه لا ينتقل نحو الابط ولا في أي جهة اخرى . وتعليل هذا اللغط ليس بالامر الميسور ، لانه على وجه التحقيق لا يمكن ان يعزى الى آفة في القلب ، والراجح انه يرجع الى اضطراب العلاقة بين شغاف القلب وما يحيط به . ومن العلامات المألوفة جدا زيادة ضربات القلب وعسر التنفس . كما قد يشكو المريض من اسهال أو امساك . وقد يكون حساسا من الناحية العاطفية فيبكي اثناء فحصه . والاغلب أن الحالات التي يضطرب فيها التنفس تكون مصحوبة بلجلجة في اللسان ، فاذا وجدت اللجلجة دون اضطراب التنفس فالأغلب أن الحالة هستيرية وليست من حالات القلق العصبي .

ولن يكون من نافل القول أن نذكر بضع كلمات عن العلاج هنا . فقد يكون التحليل لازما وقد يكون غير لازم وذلك بحسب مقدار الهستيريا القلقية المصاحبة للحالة . وقد اتضح عند بحثنا لاسباب القلق العصبي أن من اهم الامور أن يصلح المريض أي ممارسة جنسية شاذة ، وهو لذلك يحتاج الى استشارة الطبيب وطلب النصح منه . وكثيرا ما ينبغي أن تكون هذه النصيحة مصحوبة بالتحليل النفسي حتى يستطيع الطبيب أن يعرف العقد القلقة التي تسكن وراء السلوك الشاذ للمريض .

وينطبق هذا بصفة خاصة على حالات القلق العصبي التي يكون منشؤها مركبات خاصة بغريزة الانسان .

اما تلك التي تتصل بغريزة حفظ الذات : الخوف الخ فتحدث فيها طريقة اخرى للتخلص من القوة الانفعالية المضغوطة . وفي احدى الحالات الناشئة من الحرب استطاع المريض ان يضغط عواطف الخوف والاشمئزاز الخ مدة طويلة ، وعلى الرغم من أنه أصبح بعيدا الان عن الخطر الا أنه كان لا يزال يحاول جاهدا في ضغط مخاوفه السابقة وكل الحوادث المتصلة بها . فهو يرفض الكلام عن الحرب ، وخاصة اذا تناولت تجاربه الشخصية فيها ، فاذا طلب منه ان يذكر السبب قال ان الحديث عنها يضايقه ويثيره من نواح متعددة . وهنا ينبغي ان تحاول الطريقة الآتية : يترك المريض كل يوم نصف ساعة على الاقل ليتحدث عن شر ما صادفه ، ويجب الا يتحاشى شيئا من تجاربه السيئة ،

بل يجب ان يواجهها بكامل تفاصيلها ، والافضل ان انبهه الى إنه قد يتضايق فى اول الامر من مثل هذه المحادثات — وهذه فى الواقع علامة طيبة — لانه يفرج عن الانفعالات التى تصحب تلك المواقف

ويلاحظ ان الاحلام التى تدور حول المعارك يقل حدوثها بشكل محسوس بعدهذه الاحاديث، ثم تنقطع بتاتا بعد نهاية ثلاثة اسابيع من ابتدائها . غير انه قد يحدث الا تنقطع هذه الاحلام بعد هذه الفترة ، ولكن تتغير طبيعتها بعض الشيء ، فتشير الى أمور أخرى غير تجارب صاحبها فى الحرب ، أو بعبارة أخرى قد يكون القلق العصبى علاقة كبيرة بانفعالات عاطفية مضغوطة ، والواقع أن الانسان كثيرا ما يجد اساسا شبقيا كما يجد اساسا حربيا لحالات القلق العصبى

(٥)

وهناك وسائط علاجية اخرى تساعد فى هذه الحالات . فالتركيز ورياضة الذاكرة تساعدان كثيراً ، كما ان بعض التمرينات الخاصة بارتخاء العضلات قد تفيد . فقد ذكرت سابقا ان التنفس قد يكون ضلعياً ، فى هذه الحالات تفيد التمرينات الخاصة بعضلات البطن ، لا من الناحية العامة فقط ، ولكن من حيث تحسين حالة اللجلجة اذا كانت ظاهرة .

وفى حالة أو حالتين وجدت ان تحريض المريض على استعمال الحجاب الحاجز لايجدى فلجأت الى استعمال الرباط اللاصق على الصدر وعظمتى الترقوة فى موضع الزفير الكامل ، مما اضطر المريض الى استعمال الحجاب الحاجز . ثم كنت اترك المريض على هذا النحو يومين أو ثلاثة أيام حتى تستقر تلك العادة عنده . ويمكن الالتجاء الى الايحاء فى علاج الارق والصداع كما يمكن الاستعانة ببعض الادوية . وقد قمت بعمل للتحليل لعدد من حالات للقلق العصبى الناتجة من الحرب ووجدت فيها جميعا نزعة غير واعية نحو عشق الجنس تنبهت من التجارب التى مرت بالمريض

وقد ذكرت ان ضغط الدم يرتفع فى بعض هذه الحالات ، وهذا الارتفاع يمكن معالجته باستعمال العقاقير المناسبة حتى يخف الصداع من المريض فيستطيع النوم . وفى الحالات التى يتجاوز الارتفاع فيها ٤٠ مليمتر وجدت أن المريض كان يشكو من أمساك قريب فى الامعاء الغليظة ما تسبب عنه

شيء من التسمم الذاتي ، وقد استطعت تخفيض ضغط الدم الى الحدود العادية باعطاء المريض مقدارا من الصبر وفحم النباتي . اما أفراز العرق الموضعي فكنت اصف له اذا زاد غسولا فيه شيء من البلادونا ، وكنت اقلل نسبته تدريجيا مع العناية بان يبقى اثره ثابتا على الدوام ، لان للايحاء فضلا غير قليل في هذه النتيجة ما دام المريض قد لمس الاثر الفعال للغسيل بمجرد استعماله .

النورستينيا (الضعف العصبي) . هذا الاسم يساء استعماله كثيراً ، لان النورستينيا الحقيقية حالة نادرة الوقوع نسبيا ، ولها مجموعة واضحة ومحددة جدا من الاعراض : ولكن علاماتها قليلة .

ولست أعرف تماما ما هو العامل المسبب الفعلي النورستينيا ، كما أني لست واثقا مما اذا كان ادخالها ضمن الامراض الوظيفية البحتة صحيحا أو لا . ويقرر وفرويد وغيره من الباحثين ان النورستينيا تنتج دائما من الافراط الجنسي ، وعلى الاخص من الافراط في الاستمناء . ولكني اشك في صحة هذا القول ، فاني لم استطع أن القاها بصفة دائمة في بعض الحالات التي قمت بفحصها فحصا دقيقا كاملا .

ويميل بعض الكتاب الى الاعتقاد بان النورستينيا تنتج من حالة تسمم ذاتي ينشأ اما في الامعاء او في الاضطراب في عمل الغدد الصماء ، أما أنا فاعتقد أن العوامل المسببة للنورستينيا ليست بعد من الوضوح بحيث نستطيع ان نقرر فيها رأيا قاطعا ، وخصوصا ونحن نرى علامتين هامتين في حالات النورستينيا على الدوام هما نقص الوزن وتمدد المعدة ، والراجح أن كلا الرأيين صحيح ، فقد يكون هناك اكثر من سبب واحد ، أو قد تعمل هذه الاسباب بالاشتراك معاً .

الصفات المميزة للنوراستينيا — يشكو المريض من تعب شديد لاقل مجهود سواء كان عقليا ام جسديا ، وفي الحالات المتقدمة يكفي مجرد تذكر المريض للمجهود لكي يسبب له تعبا شديدا . كما انه قد يشكو الصداع وخصوصا في الفص المؤخرى ، أو قد يشكو احساسا بالضغط على الجمجمة وخصوصا بجوار القمة . وقد يشكو ايضا من الام مبهمة في منطقة العمود الفقرى ، أو من ضعف فيها ، ومن الشكاوى المألوفة احساس بالالتواء في المنطقة المؤخرية أو على الجزء العنقي من العمود الفقرى . وقد يشكو المريض ايضا من الارق ولكنه ليس من الاعراض المألوفة . وفي الحالات

المتقدمة يفقد المريض الذاكرة وتضيع قدرته على التركيز وتزول ثقته بنفسه ثم قد يتصبب منه عرق غزير عند أقل مجهود

العلامات — تصاب العضلات بارتخاء عام ، وتضعف الافعال المنعكسة العميقة او تزول ويهبط ضغط الدم بالنسبة الى سن المريض وحالته العامة ، ولكن لا ينبغى أن نعلق أهمية كبيرة على الافعال المنعكسة أو ضغط الدم لأن المريض كثيرا ما تكون عنده حالة أخرى . أما اضطراب جسدى آخر او حالة نفسية مثل القلق العصبى . ومن العلامات المألوفة ضعف شديد مع نقص ظاهر فى الوزن . وكثيراً ما يشكو المريض الانتفاخ والاحساس بالمضايقة فى جهازه الهضمى ثم يظهر الفحص وجود تمدد شديد فى المعدة . والاغلب أن يكون عند المريض افكار مرضية ، ولكن لا يكون عنده مخاوف او أفكار متسلطة . وليس لنا أن نعجب لهذه الافكار المرضية ، فان نقص الوزن الظاهر واضطراب المعدة مع ما يصاحبها من الاعراض . كل هذا كان يوحى فكرة المرض الى العقل العادى السليم ، وخصوصا اذا مجمع من الاطباء وبعد فحصه أنهم لا يستطيعون أن يجدوا فيه مرضاً .

وهنا ينبغى ان نلاحظ ان النورستينيا تشترك فى بعض النقط مع الحالات البسيطة من القلق العصبى ، كما انها قد تشترك أيضا مع بعض الامراض العضوية الاخرى مثل التهاب الكلى المزمن والسكر والاورام الخبيثة وغيرها من الامراض التى تؤدى الى الضعف الشديد . ولذا فينبغى ان يفحص عن المريض فحصا كاملا ودقيقا قبل ان يقرر الطبيب انه مصاب بالنوراستينيا

العلاج — ليس لاى طريقة من طرق العلاج النفسى نتيجة مرضية فى علاج النورستينيا . واذا كان فى تاريخ المريض ما يدل على الافراط الجنسى فان هذا يجب أن يمنع . وقد يفيد التحليل القصير ، لان هذه الحالات تكون مصحوبة عادة بهستريا القلق ، كما ان هذا التحليل يكشف عما يميل المريض اليه وما يكرهه ، وبذا يتسنى للطبيب ان يرسم العمل الملائم للمريض اثناء العلاج . والتحليل على اى حال يفيد المريض الى حد ما لانه يحسن التوازن العقلى وينفع فى توجيه الطرق لاستغلال القوى النفسيه فى أى أنسان مهما كان عاديا وسليماً . وأهم علاج فى النورستينيا هو الراحة وتغيير البيئة والقيام بتمرينات منظمة والاشتغال بعمل خفيف ولذيذ ، والغالب ان مدة هذا العلاج لا ينبغى أن

تقل عن ستة شهور . ولست ممن ينصحون المرضى فى هذه الحالة بالذهاب الى الشواطىء ، لان تنبيه الجو هناك قد يزيد كثيرا عما ينبغى ان يكون ، ولذا فانى افضل الريف . وفى الحالات التى يكون اضطراب المعدة فيها من الشكاوى البارزة ينبغى أن نعنى بالطعام ؛ وان نصف العقاقير الملائمة اذا لزم الامر . وتعطى طريقة وير ميتشل نتائج حسنة جدا فى بعض الاحيان اذا أجيد استعمالها .



الفصل الحادى عشر

طريقة التحليل النفسى

الغرض من التحليل النفسى هو تتبع الافكار والاراء من العقل الواعى الى العقل الباطن بحيث تنكشف المركبات المضغوطة وتظهر فى الوعى .

ويقوم التحليل على اساس الارتباطات الحرة (تداعى الخواطر الحر) . ونعنى بهذا ان المريض يركز التفاته على نقطة معينة للبدء ، ثم يترك الخواطر ترد الى عقله حرة وبغير قيد ، دون ان يتعنها نقدا او مقاومة من جانبه ؛ وفى اثناء هذه العملية تتشعب خواطر ثانوية من الخواطر الاولى وهكذا. وكما هو المنتظر ليس من السهل على المريض ان يتخلص من مقاومته أو من نزوعه الى النقد . ورغبة فى شرح المقصود بالتداعى الحر سأصف اولا طريقة يونج المعروفة باسم « طريقة يونج للتداعى » .

١ — طريقة التداعى . أساس هذه الطريقة المعروفة من انه لكل منبه تفاعل يجيب عليه ، فاذا لمس المنبه مادة غير سارة او مضغوطة فى عقولنا فان تفاعل الاجابة عليه يختلف عما اذا لمس المنبه مادة متعادلة فى عقولنا . فمثلا اذا رأت امرأة عصبية فأرا على الارض فانها قد تصرخ على الفور وترفع قدميها الى المقعد الجالسة عليه ، فى حين انها لو رأت قطعة من الورق لما فعلت شيئا من هذا القبيل . ففى الحالة الاولى لمس المنبه مركبا غير سار فاثار انفعالا ، وفى الحالة الثانية لم يحدث شىء من هذا .

ولا يعتمد يونج طريقته للتداعى على استعمال عدد كبير من المواقف ليصل منها الى ايها يثير انفعال فى المريض ، ولكنه يمتحن مرضاه بطائفة كبيرة من الكلمات ، بينها كلمات خاصة تثير كل انفعالا ممكن . وتحتوى قائمته على مائة كلمة . جزء كبير منها كلمات عادية لا يمكن باى حال ان تكون منبها غير عادى لاى أحد . وقد انتشرت بين هذه الالفاظ العادية كلمات اخرى اختيرت بكثير من العناية . ومن المحتمل أن تلمس بعض مركبات المريض فتثير الانفعالات المضغوطة

المصاحبة لها . وتقرأ كل كلمة للمريض على مهل ، ويوصى أن يجيب على كل منهـا بأول كلمة ترد إلى خاطره وتكون متصلة بالكلمة المقروءة ، كما يوصى الا ينتقد أو يقاوم . بمعنى انه اذا كانت الكلمة التى ترد الى خاطره غير مهذبة او ليست هى الاجابة الصحيحة تماما فى ظنه ، فينبغى الا يؤثر ذلك فيه ، وينبغى ان يقول تلك الكلمة كما هى . وتعمل هذه الكلمات كما تعمل المواقف المماثلة لها « وانما بصورة اضعف » ، لانها تكون بمثابة منبهات تثير المادة المضغوطة فى العقل . فكلمة ريشة مثل كلمة « حبر » يمكن ان نجاب على الفور بكلمة « ريشة » ، ولكن عند مريض يخاف من الفيران قد تكون كلمة « فار » استعادة لصورة الفار فى ذهنه . وعلى الرغم من ان تفاعل المريض للكلمات لا يمكن ان يشابه تفاعله للمواقف كل المشابهة ، الا أن تفاعله سيكون ملحوظاً على اى حال . أما من حالته عموما ، أو من تردده ولو لجزء من الثانية ، أو من اى نضال داخلى مهما كان بسيطا .. ويسجل هذا التفاعل على جهاز « الجلفانومتر » . فعند قراءة هذه القائمة للمريض تسجل اجابته وتضبط على ساعة دقيقة توقيت اخماس الثانية ، كما تراقب تصرفاته وسلوكه مراقبة دقيقة .. وتلاحظ اى اجابة خاطئة أو غير عادية . وعند تمام القراءة وتدوين كل الارتباطات التى ذكرها المريض ، تعاد عليه هذه العملية مرة أخرى ويطالب منه أن يذكر أمام كل كلمة الخاطر الذى ورد له اولا وذكره ، فاذا لم يتيسر له ذلك فليذكر أول كلمة ترد الى خاطره . وسنرى من هذه العملية ان هناك نسبة خاصة من الارتباطات تختلف فى القراءة الثانية عنها فى القراءة الاولى ، ويجب ان نعنى بهذه الكلمات لان لها أهمية خاصة .

وقد يظن أن الكلمة الحرجة — أى الكلمة المنبهة غير العادية — التى اقتضته بضع ثوان لكى يجد الارتباط الخاص بها تكون أكثر انطباعا وثباتا فى ذاكرته من الكلمة العادية — اى الكلمة التى لا تثير اى ذكريات خاصة فى عقله ، ولكن هذا ليس صحيحا . فان الاضطراب الداخل مهما كان قليلا ، يمنعه من تركيز انتباهه على الارتباط الذى يعطيه ، وبهذا نرى أن الكلمات المنبهة التى نضعها فى نظرنا كلمات حرجة هى الكلمات التى يختلف التفاعل لها فى المرتين . وهذه الطريقة من الدقة والصواب بحيث لا يجد الطبيب المتمرن عليها أى صعوبة فى كشف المركبات المضغوطة عند اى انسان عادى .